تامر إبراهيم

دماء الأميرة

رواية

سبارك للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

دماء الأميرة

رواية..

تامر إبراهيم

عن الرواية..

حياتي ليست كحياتك أو كحياة أي شخص تعرفه.. حياتي هي أوراق متناثرة في عصور مختلفة، وفي كل ورقة قصة تنتظر أن أحكيها لك.. قصة حدثت ولم يذكرها التاريخ لك كاملة، لذا سأقدمها لك كاملة بكل ما تحويه من أهوال.. قصة تحمل رائحة الرعب ومذاقه.. حياتي ليست كحياتك أو كحياة أي شخص تعرفه.. حياتي هي لحظات تمضي بين هذه القصص وهذا قدري الذي لم أختره ولا أعرف له بديلاً.. واليوم سأحكي لك واحدة من هذه القصص التي رأيتها وعشتها.. عبر الزمن..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة..

حياتي ليست كحياتك أو كحياة أي شخص تعرفه..

حياتي هي أوراق متناثرة في عصور مختلفة، وفي كل ورقة قصة تنتظر أن أحكيها لك..

قصة حدثت ولم يذكرها التاريخ لك كاملة، لذا سأقدمها لك كاملة بكل ما تحويه من أهوال..

قصة تحمل رائحة الرعب ومذاقه..

حياتي ليست كحياتك أو كحياة أي شخص تعرفه..

حياتي هي لحظات تمضي بين هذه القصص وهذا قدري الذي لم أختره ولا أعرف له بديلاً..

و اليوم سأحكي لك واحدة من هذه القصص التي رأيتها وعشتها..

عبر الزمن..

د. تامر إبراهيم

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دماء الأميرة

1- تلك الأشياء..

"متى إذن ستكف عن عنادك يا (نادر)؟.. أتريد أن تقضي عمرك وحيدًا؟ "

تقولها (سوسن)، ثم ترشف المزيد من العصير من كوبها، لتواصل بذات الحماس:

أنت تعرف أننا كلنا لا نوّد أن نتركك هكذا.. لكن كل واحد لديه مشاكله الخاصة، ولا يمكننا أن نقلق عليك إلى الأبد..

يمكنني أن أردّ عليها بأنني لم أطلب منها شيئًا، لكن هذا لن يوقفها..

ثم إنك لم تعد طفلاً لا يتحمل المسئولية.. إن لم تتزوج الآن، فستقل فرصك مع الوقت..

لكنني تزوجت وفشلت.. وهو شيء آخر لن أكرره أيضًا بل سأحتفظ بصمتي..

كلنا نمرّ بتجارب فاشلة، لكنها تعلمنا كيف ننجح فيما هو قادم.. من الصعب أن تفشل زيجتك القادمة إلا لو أردت أنت هذا..

ترشف (سوسن) المزيد من العصير، لتواصل بصوتها الذي لابدّ أنه جذب انتباه كل من في الكافتريا:

ثم إنني أحمل لك خبرًا سعيدًا.. أنت تذكر (مي) التي كانت تزورنا قبل أن تسافر مع أسرتها إلى (المجر).. لقد عادت إلى مصر ولم تتزوج حتى الآن.. أنت تذكر كم كانت جميلة في صباها، ولقد رأيتها منذ يومين.. صدقني.. كل هذه السنوات لم تنقص من جمالها شيء..

هل تحسب الحمقاء أن هذه النقطة تهمني حقًا؟!

تمدّ (سوسن) يدها لتقبض على يدي:

أنا أختك الكبيرة يا (نادر) لذا اصغ لي جيدًا.. ما تحتاجه الآن هو زوجة ترعاك وتمنحنا نحن بعض الطمأنينة عليك.. إن مجرد فكرة أنك تعيش بمفردك تؤرقني..

لكن هذا ما أبغيه حقًا.. سنوات عمري علمتني أن الوحدة هي ما أبغيه دون غيرها..

فقط لو يتركوني هم في حالي دون تدخل!

و تقول (سوسن):

- عدني أنك ستفكر في الموضوع.. على الأقل عدني بهذا..

فأهز رأسي موافقًا، وأنا أحلم في عقلي باللحظة التي ستنتبه فيها لأنها تأخرت عن عملها، لتتركني أحتسي قهوتي في هدوء..

و متى سترد عليّ إذن؟

قريبًا.. سأرد عليك قريبًا جدًا..

أقولها مضطرًا، فتأخذ هي حقيبتها وتهبّ واقفة:

عظيم.. سأرحل أنا الآن، فلقد تأخرت عن عملي.. سأتصل بك غدًا..

و أنا سأنتزع سلك الهاتف، لكنني لن أخبرها بهذا.. فقط أمنحها ابتسامة وداع، لترحل هي أخيرًا..

الآن يمكنني أن أرتشف قهوتي في هدوء.. الآن يمكنني أن أراقب تلك الفتاة التي تقف في ركن الكافتريا..

إنها ترتدي ثوبًا باليًا تغطيه الدماء وفي رسغيها ثقبين قبيحين جفت حولهما الدماء، ومن وجهها الشاحب شحوب الموتى، ترمقني عينان لا تطرفان كأنها تنتظرني.. وأنا أعرف لماذا؟

مادمت أرى شبحهها فهذا يعني أن هناك عمل ينتظرني حين أعود لداري.. أمّا الآن – وبما أنها ماتت فعلاً – فيمكنها أن تنتظر حتى أنهي قهوتي..

لن يضيرها هذا في شيء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و داري قد لا تختلف عن دارك إلا في غرفة واحدة..

ستجد طاولة الطعام الكئيبة التي يحيط بها ست مقاعد، وستجد عدة أرائك متناثرة هنا وهناك يغيطهم الغبار مهما حاولت تنظيفهم، وستجد الثريا المعلقة من السقف والتي لا أستخدمها إلا نادرًا.. ستجد الثلاجة ببقايا الطعام التي تحتاج لمن يتخلص منها، وستجد تلك الرائحة التي تميز الدار عمّا سواه..

لكل منزل رائحته الخاصة التي لا تجدها في مطعم أو شركة أو في أي منزل آخر، وأنا أعرف هذه الرائحة وأحبها..

فقط ستجد أن غرفتي الخاصة مختلفة تمامًا عن أي غرفة في أي منزل عشت أنت فيه، وستعرف الآن لماذا.. فقط سألفت انتبهاك أولاً أن شبح هذه الفتاة التي تغطيها الدماء تبعني إلى المنزل دون أن يبادلني حرفًا..

هي تعرف أنني أراها كما تراني هي، وهي تعرف – تقريبًا – ما سيحدث الآن لذا فهي لا تملك سوى الانتظار الصامت، وأنا لا أنوي أن أطيل انتظارها على أية حال..

أعيش وحيدًا كما ترى لذا تشعر بأن هذا الصمت المطبق مريب نوعًا ما، لكن هذا معتاد في منازل من يعيشون بمفردهم.. لن تسمع صوت آنية في المطبخ ولا نداء أطفال ولا صراخ زوجة، وحتى الجيران في هذا الحي الهاديء، لا يصدر عنهم صوت، إلا حين يخرجون للعمل صباحًا..

أما الآن..

أما الآن فسيبدو لك الأمر وكأنني آخر رجل على وجه الأرض، ولا يوجد سواي..

صمت.. ظلام.. وحدة..

في ظلام المنزل أتجه إلى غرفتي الخاصة، لأدخلها ولأحكم إغلاق الباب خلفي.. لترى معي محتويات الغرفة وتتعجب..

مقعد عملاق في منتصف الغرفة تمامًا، تحيط به على الأرض رسوم ونقوش عجيبة تحمل رائحة السحر ومذاقه.. وأمام المقعد ترى تلك المرآة الهائلة ذات الإطار الخشبي العتيق..

لا نافذة.. لا مصباح.. لا شيء سوى ما ذكرت..

بصمت يتجه شبح الفتاة إلى ركن الغرفة، بينما أتجه أنا إلى المقعد لأسترخي عليه منكسًا رأسي..

بصوت خافت أردد كلمات لا ينبغي لك أن تعرفها، فما سأفعله الآن لا يخضع لباب التجربة والإحتمالات..

فقط تابعني وأنا في جلستي العجيبة هذه وحاول أن تصغي جيدًا معي..

مع صوتي الخافت ترتفع أصوات أخرى.. أصوات غير بشرية!

أصوات هي مزيج من الصراخ والهمس والغناء والتراتيل..أصوات ترتفع تدريجيًا حتى تملأ الغرفة، وكأنها كيان مادي في حد ذاته..

أصوات ترتج لها الجدران، وتشع على إثرها المرآة العملاقة أمامي بضوء لا مثيل له..

ضوء يسطع ويسطع ويسطع و..

و فجأة تنفجر قنبلة الضوء من المرآة لأختفي أنا!

أتلاشى كأنني لم أكن..

أنتقل إلى الزمان والمكان الذي كانت تعيش فيه هذه الفتاة قبل أن تقتل بهذه الطريقة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2- أن تفهم وأن تصدق!

أحسبك الآن تحاول أن تفهم ما الذي حدث بالضبط، وهذا من حقك..

لكني دعني أحك لك أولاً ما حدث لي حين كنت في العاشرة من عمري..

كنت في ذلك الوقت أحيا في منزل جدي مع أختى الكبرى (سوسن)، نتساءل طيلة الوقت أين ذهب والدينا اللذان خرجا من شهرين ولم يعودا حتى الآن، وكانت خالتي التي أخذت ترعانا ترد علينا ذلك الرد الوهمي الذي لم أفهمه قط.. (إنهما في السماء حيث سنجتمع كلنا في النهاية)..

أين في السماء؟ لماذا وكيف ذهبا؟ وما هي هذه النهاية التي تتحدث عنها؟؟

لم أفهم وقتها شيئًا يرد على هذه الأسئلة، ولن أكذب عليك وأقول أنني كنت أهتم كثيرًا..

الطفل في العاشرة لا يعرف سوى اللعب وتغطية جسده بشتى أنواع الإصابات التي ستغطى لاحقًا بالمطهرات ذات الرائحة النفاذة.. ثم إنني كنت أحب جدي كثيرًا..

جدي بجسده الضخم وشعره الأبيض الممتزج بلحيته الناعمة، يبدو كسحرة الروايات الخيالية التي كنت أدمنها.. جدي الذي كان يحكي لي بصوته العميق قصصًا وحكايات لا أعرف من أين يأتي بها، لكنني كنت على استعداد لطاعة خالتي لأظفر بهذه القصص قبل النوم..

حتى جاء اليوم الذي لم يستطع فيه جدي القيام من على فراشه..

أذكر هذا اليوم كشيء ضبابي تمتزج فيه الأحداث بصورة عجيبة.. أذكر الطبيب الذي دخل غرفة جدي ليمضي وقتًا طويلاً في الداخل، قبل أن يخرج لينتحي بخالتي في ركن الردهة..

أذكر أن خالتي بكت مما سمعته، وأنها أجرت عشرات المكالمات الهاتفية.. أذكر كل من أتوا في هذه اليوم والرهبة تملأهم والدموع تبلل وجوههم، دون أن يتطوع أحدهم ليشرح لي أو لأختي ما الذي يحدث بالضبط..

و أذكر في النهاية كيف طلب جدي رؤيتي على إنفراد، وهو مطلب أثار حيرة واستغراب كل من ملأوا المنزل الصغير بصخبهم ودموعهم..

لكنني ومن هذه النقطة أذكر ما حدث تفصيليًا كأنه حدث البارحة..

بخطوات مترددة اتجهت إلى فراش جدي الذي استلقى على فراشه بجسده الضخم، وقد تناثرت خصلات شعره حول وجهه، لتبدو وكأنها تحيطه بهالة الضوء..

خالتي أغلقت الباب علينا، لينادين جدي بصوت واهن:

اقترب يا (نادر)..

لكنني كنت خائفًا.. لسبب ما شعرت بخوف هائل يمزقني، وبرغبة عارمة بالفرار، لكنني تقدمت لا إراديًا حتى أصبحت في متناول يده..

و بدون أن ينطق بحرف، مدّ جدي يده الضخمة المشعرة، ليقبض على رأسي بقوة لا ترحم، لينتفض جسدي الضئيل، كأنما صعقتني الكهرباء..

لم أصرخ.. عجزت عن الصراخ..

فقط شعرت بملايين الصور والذكريات والأحداث تنتقل لعقلي، ومن حولي تصاعدت تلك الأصوات العجيبة، وأخذت تتعالى بسرعة هائلة حتى طنّت أذناي بها..

أصوات.. بكاء.. وجوه.. أماكن.. حروب.. أشباح.. لغات..

كل هذ تسرب إلى عقلي بسرعة هائلة، وأنا أرتجف عاجزًا عن الحركة، بينما يدّ جدي تقبض على رأسي كالخوذة..

و في النهاية ارتخت أصابعه لأسقط أنا على الأرض ألهث وأرتجف والعرق يغطيني، بينما أعاد جدي يده إلى صدره ببطء، ليقول بذات الصوت الواهن:

- أنت ستكمل ما بدأته..

ثم إنه أغلق عينيه ليخفي دمعة تأثر، ليردف:

سامحني..

بعدها..

بعدها فقدت وعيي، ولم أستيقظ إلا في فراشي وخالتي جواري تبكي وتخبرني أن جدّي انتقل إلى السماء هو الآخر، حيث سيلتقي بوالديّ..

و حيث سينتهي بي المطاف في النهاية..

لكنني لم أفهم حينها ما الذي حدث لي بالضبط..

كنت طفلاً في العاشرة من عمره، فكيف كان لي أن أفهم؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكنني مع الوقت بدأت أفهم..

إنني أرى أشباح من ماتوا.. أراهم طيلة الوقت ينظرون لي وينتظرون.. جدي كان يملك هذه القدرة وتركها لي لأواصل ما كان يفعله، لكن لازال هناك ما ينقصني..

وحين أتممت الثانية والعشرون من عمري، وجدت في أوراق جدي التي تركها مخبأة في مكتبته، السر الذي كان ينتظرني لأكتشفه..

وجدت طريقة الاتصال والانتقال..

لا.. لن أشرحها لك إن كان هذا ما تنتظره، فكما قلت آنفًا، هذه أشياء لا تحتمل التجريب والإحتمالات، بل هي قدر يدفع ثمنه من أصيبوا به.. فقط سأخبرك أنني تعلمت كيف أرسم النقوش على الأرض وكيف أجلس على ذلك المقعد الضخم أمام المرآة، لأنتقل إلى ما قبل موت الشبح الذي أراه بفترة..

أنتقل إلى عصرهم ومكانهم، وأثناء انتقالي أتحول إلى شبح ما يرى ما يحدث ولا يراه أحد..

أتحول إلى شبح قادر على اختراق الحواجز والتواجد في أي مكان، لأرى وأفهم كيف ولماذا مات صاحب الشبح الذي أراه قبل انتقالي، وفي النهاية..

في النهاية يأتي دوري..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هذه المرة حين انتقلت وجدتني أتجسد في حديقة قصر منيف، تخرج الأضواء من كل نافذة فيه لتنير ظلام الليل من حوله.. وكانت الثلوج تبسط عباءتها البيضاء على الأرض من حولي..

لا أعرف أي زمن هذا ولا أي مكان بعد، لكنني سأعرف حالاً لو كان حظي حسنًا.. فقط علي أن أتحرك أولاً..

أذكرك أنني الآن في حالة شبحية، أي أنه لا يوجد من يمكنه رؤيتي، ولا يوجد حاجز لا يمكنني اختراقه، لذا لن يضيرني أن أتجاوز رتل الحرس الذين يقفون أمام البوابة الضخمة، لأدخل إلى هذا القصر، هذا ما فعلته..

حاول أن تتخيل معي بعض التفاصيل أولاً..

تخيل القصر الذي يبدو الآن أشبه بمتحف هائل، بذلك الطراز المعماري القوطي، حيث النقوش والتماثيل يصنعان الجدران.. حاول أن تتخيل الحراس بأجسادهم ضخمة، وبأزياء يمتزج فيها الحرير بالدروع المعدنية، كأنهم فرسان القرون الوسطى.. حاول أن تتخيل العربات الفاخرة التي تجرها خيول متأنقة،

والتي تتحرك طيلة الوقت أمام بوابة القصر لتلقي بحملها رجالاً ونساءً يرتدون أثوابًا مبالغ فيها..

إنه القرن السادس عشر أو السابع عشر، وهذا يعطينا فكرة مؤقتة عن الزمن.. وهذه اللغة الإنجليزية العتيقة التي يتحدث بها الحراس، تحمل لكنة بريطانية لا يمكن أن تخطئها الأذن..

إننا في بريطانيا إذن..

أواصل طريقي مخترقًا الجدران والعوائق لأصل إلى ردهة القصر التي اكتظت بالمدعويين، لألاحظ أن الجميع هنا يرتدون ملابس عجيبة حقًا.. ثمة نوع من البذخ تفوح رائحته منهم، وكأنهم يستعرضون قدراتهم المادية، لكن الناتج النهائي أتى متناغمًا مع فخامة المكان وأبهته..

المشاعل الضخمة.. السجاجيد الفاخرة.. التماثيل الأصلية واللوحات التي لم يجف زيتها بعد، والخدم وسط كل هذا كالنحل يحملون الطعام والشراب، يجولون به طيلة الوقت وسط ضيوف القصر، والكل ينظر إلى السلم الذي يقود إلى الطابق العلوي في ترقب..

يقول أحدهم:

هل سيتأخر الملك؟

فيرد عليه زميله همسًا:

اخفض صوته.. إنك في قصره، لكنك قد لا تخرج منه حيًا لو قلت ما يغضبه..

إذن هناك ملك.. وهذا قصره.. وهؤلاء ضيوف حفله..

لم تكن هذه أول مرة أنتقل فيها إلى العصور الوسطى، لذا لم أشعر بالانبهار من الجو المحيط بي، في الواقع أنا هنا لغرض ما وأريد أن أنهيه لأعود إلى داري، لكن لا يبدو أن هذا سيتم سريعًا..

لكنني أتساءل هذا حقًا عن سر العلاقة بين تلك الفتاة التي رأيت شبحهها، وبين قصر ملك بريطانيا..

إنها ليست من ضيوف القصر وليست من الخدم، فمن هي إذن؟؟

يتجمع الخدم فجأة بتنظيم دقيق حول وأسفل السلم، ليصيح أحدهم بإحترام:

جلالة الملك..

يقولها، ليتوقف الجميع عن الحركة وعن الهمس وكأن على رؤوسهم الطير، ثم تدوي أبواق حماسية من مكان ما، ليظهر جلالته أعلى الدرج..

الآن أراه بوضوح وهو يهبط الدرج بخطوات ملكية وئيدة..

قامته الممشوقة.. وجهه القاسي.. ذقنه المدببة.. عينيه الثعلبيتين، وشعره الطويل المسترسل..

أنا أعرف هذا الوجه.. أذكره من بين الوجوه التي حفظها عقلي يوم نقل لي جدي ذكرياته..

إنه الملك (تشارلز الأول)..

شخصيًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3- في حضرة الملك..

و أنا أعرف عن هذا الملك الكثير..

عقلي أصبح أشبه بموسوعة المعارف البريطانية، منذ نقل لي جدّي خبراته، والذي يبدو أنه جاب كل العصور في سنوات عمره الطويلة، ليترك لي ميراثه الهائل في النهاية..

إنه الملك (تشارلز الأول) ابن الملك (جيمس الأول).. ولد عام ١٦٠٠ في استكتلندا، وأصبح أمير ويلز وهو لا يزال في السادسة عشر من عمره، ثم تولى حكم بريطانيا وأيرلندا واسكتلندا حين بلغ الخامسة والعشرون..

سياسي مخضرم يدرك أهمية القوة والتحالفات، لذا حاول تزوج ابنة ملك أسبانيا ليضمها إلى قائمة حلفاءه، وحين فشل في هذا أسرع بالزواج من الأميرة (هنريتا ماريا) ابنة ملك فرنسا، ليضمن بهذا ولاءهم له ومساندتهم عند الضرورة..

لكن نقطة ضعفه كانت صديق والده الدوق (جورج فيلرز) وهذا الأخير لا يستحق إلا أن نصفه بالأحمق!

لا يملك أي موهبة سوى النفاق، وهذا ما جعله مقربًا من الملك (جيمس) الذي عينه سكرتيره الخاص، ثم منحه (تشارلز) ثقته وأرسله إلى ملك أسبانيا للتفاوض على زواجه من ابنته، لكن (فيلرز) فشل في مهمته، وانتقم بأن حرّض (تشارلز) على خوض حرب ضد أسبانيا عام ١٦٢٤، ثم حرب أخرى مع فرنسا عام ١٦٢٦ لمجرد أنه يريد استعراض مهاراته العسكرية، وانتهى به الأمر في الحالتين بهزائم مخزية..

و على الرغم من أن أعضاء البرلمان أعلنوا رفضهم التام لوجود (جورج فيلرز) وللسلطات التي يمنحها له الملك (تشارلز) بلا حساب، واستخدموا هزيمته النكراء في اسبانيا ليطالبوا بمحاكمته، إلا أن (تشارلز) قرر عدم التخلي عن صديق والده المخلص، فقام بحل البرلمان!

ثم أصيب الملك (تشارلز) فجأة بهوس (السلطة المطلقة للملوك) والتي تفترض أن أي أمر يخرج من الملك يجب أن يطاع بلا مناقشة، فالرب والكنيسة يؤيدانه ولا صوت للبرلمان أمام رغباته..

و بتشجيع من (فيلرز) بدأ (تشارلز) في زيادة الضرائب والضغط على نفقات شعبه، ليتمكن من تمويل جيوشه التي تناثرت عبر البلدان، لتخوض معارك خاسرة بقيادة (فيلرز)، وكانت هذه

القرارات هي المسامير التي دقّ بها (تشارلز) نعشه دون أن يدري..

و هذا ما ستراه بنفسك حالاً..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان المشهد جديرًا بالمراقبة حقًا..

الملك بهيبته يهبط الدرج بتؤدة تلاحقه العيون، والأبواق تعزف لحنًا ملكيًا انتهى بتصفيق حار من المدعويين، بينما الملك ينضم لهم متجاهلهم جميعًا بلا استثناء، بصورة تدفعك لتسأل نفسك عن سر دعوته لهم ماداموا لا يهمونه في شيء..

لكنها حياة الملوك كما يبدو، وهذا الحفل الهائل مجرد طقس من طقوس الحكم، كما أنها فرصة طيبة لتناقل الشائعات والأقاويل التي ستصل في النهاية لجلالته، ليعرف بها أكثر مما يعرفه من البرلمان ذاته..

عاد الكل للحركة بعد أن كانوا قد تحولوا إلى لوحة ثابتة من لوحات القصر، بينما شق الملك طريقه وسطهم متجهًا إلى القاعة الثانية، فقررت أن أتبعه من باب الفضول من ناحية، ومن ناحية أخرى للبحث عن صاحبة الشبح التي لم أراها حتى الآن..

و في القاعة الثانية أشار الملك للحرس والخدم بأن يتركوه بمفرده، ليواصل هو طريقه إلى غرفة في نهاية القاعة وأنا من خلفه، لندخل سويًا إلى تلك الغرفة التي أنارتها نيران المدفأة، لأجد في الداخل رجل قصير القامة متين البنيان، أشيب الشعر وإن نزع الغرور المطلّ من عينيه أي فرصة لأن يبدو حكيمًا، فاستنتجت هويته دون مشقة..

(جورج فيلرز)..

و ما إن سقط بصر الملك عليه، حتى لانت ملامحه وأسرع إليه مرحبًا: - وا عزيزي (جورج).. دوق باكينجنهام..

لم يهبّ (فيلرز) حتى لتحيته، بل قال:

إنني أنتظرك منذ فترة..

أعرف.. لكن كان عليّ إنجاز بعض الأشياء أولاً..

لا تجهد نفسك كثيرًا.. كنت أردد هذه النصيحة لأبيك الملك (جيمس) دون أن يصغ لي..

أنت تعرف مشقة الحكم..

ثم إنه جلس أمامه وقد مال بجذعه ليبدو عليه الإهتمام، منتظرًا أن يبدأ (فيلرز) بالحديث، لكن هذا الأخير أخذ يرمق نيران المدفأة طويلاً، قبل أن يقول أخيرًا: إنني ذاهب لفرنسا غدًا.. لن تنتهي الحرب بيننا بهذه الصورة..

تذهب بنفسك؟؟.. ألا ترى في هذا مخاطرة غير محسوبة؟

صاح (فيلرز) غاضبًا وقد احتقن وجهه:

ألا ترى العارالذي لحق بي من جراء هزيمتي الأخيرة؟.. حتى البرلمان طالب برأسي، والكل يحملني المسئولية..

كاد (تشارلز) أن يخبره أنها ليست أول هزيمة، لكن قرر عدم استفزازه وقال: لقد حللت البرلمان ولم يعد هناك من يجرؤ على معارضتك.. ثم إن الموقف لا يحتمل مزيدًا من التعقيدات، وحتى (هنريتا) كانت تردد..

قاطعه (فيلرز) بحنق:

لا تذكر اسم هذه المرأة أمامي.. أنت تعرف كم أبغضها..

لكنك تعرف أيضًا لماذا تزوجتها.. ثم إنها تسعى لإنهاء الأزمة ليس إلا..

حل الأزمة لن يكون إلا بالنصر، وهذا ما سأظفر به قريبًا وسأعود من فرنسا بطلاً، لكن هذا كله لا يهمّ الآن.. إنني هنا لموضوع آخر..

و مال بجذعه ليلفح بأنفاسه وجه الملك:

- موضوع أهم وأخطر بكثير.. (آرثر فاولز) يرغب في رؤيتك..

قالها فشحب وجه الملك، وبدأ يلهث لفرط انفعاله..

أمّا أنا فتتضاعف الفضول في أعماقي رغمًا عني..

من (آرثر فاولز) هذا؟.. وما علاقته بما حدث؟

و يحدث؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تلك الليلة لم يجد فيها جديد..

فقط أخبر (جورج فيلرز) الملك، أن ذلك المدعو (آرثر) سيأتي لزيارته في صباح اليوم التالي، وأن عليه أن يمنحه أذنه وثقته وعنقه لو لزم الأمر.. ويبدو أن الملك سمع الكثير عن (آرثر) فلم يستطع النوم تلك الليلة، بل أخذ يجوب ممرات القصر بعد انتهاء الحفل، حتى أسرعت إليه خادمة فرنسية، قائلة: مولاتي ترغب في لقاءك..

إنها تقصد زوجته (هنريتا).. ويبدو أن الملوك لا يلتقون بزوجاتهم إلا بمواعيد محددة، يقررها المستشارون ويتابعونها الخدم..

أخبريها أن تنتظرني في القاعة الزرقاء..

قالها بكراهية، فهذه الخادمة وكل الخدم التي أحضرتهم (هنريتا) معها من فرنسا يرهقون ميزانيته حقًا.. (فيلرز) اقترح عليه طردهم، لكنه لا يودّ استفزاز زوجته الآن..

يكفي أنه في حرب مع بلدها!

إن مولاتي تنتظرك بالفعل يا جلالة الملك..

أنا مثلك أكره كثرة استخدام (مولاتي) و(جلالتك)، لكننا في بريطانيا القرن السابع عشر، وهذه الألفاظ مقدسة، لدرجة أنه لو لم تستخدمها الخادمة، لطار عنقها بلا جدال..

و هكذا قرر الملك أنه لا مفر من شجار الليلة المعتاد، فأخذ يسرع الخطى عبر الممرات – وأنا من وراءه كالعادة – إلى القاعة الزرقاء والتي استحقت اسمها عن جدارة..

الطلاء الأزرق والستائر الزرقاء المخملية والسجاجيد التي يتفاوت فيها الأزرق السماوي بالأزرق الداكن كمياه المحيط، وكل هذا لا يحمل سوى سمة البذخ المبالغ فيه، والذي لا تجده إلى قصور الملوك وبعض الحمقى!

كانت (هنريتا) جميلة حقًا..

كانت تملك عينين حالمتين لا تدري أين يشردان.. وكانت أنيقة بلا مبالغة.. رقيقة كزهرة يبللها الندى.. وكانت هذه الليلة غاضبة كعادتها، لكنها كانت تحاول تمالك أعصابها..

إنها تبغض زوجها تمامًا كما يبغضها، وكانت تدرك جيدًا معنى أن يكون زواجها مجرد تحالف للقوى.. ذلك التحالف الذي دفع (تشارلز) ثمنه غاليًا..

فالبرلمان والكنيسة لم يوافقا على زواجه من (هنريتا)، لكنه فعلها على أية حال، ليحظى هو وهي بكره الجميع، ودفعت هي الثمن بأنها لم تتوّج كملكة، وأصبحت فريسة لانتقادات (جورج فيلرز) التي لا تنتهي، حتى باتت أغلى أمانيها أن تراه ميتًا، لكنها تحلت بالصبر وبعزة النفس، وحافظت على صورتها كابنة (هنري) ملك فرنسا، وزوجة (تشارلز) ملك بريطانيا وأيرلندا واستكتلند..

لكن هذه الليلة كانت سليلة قصر اللوفر غاضبة وبشدة..

و هذا ما شعر به (تشارلز) على الفور، فلم يكد يراها حتى قال بسرعة ودون أن يجلس: - ما الذي تريدينه؟

لم تكن هذه طريقة لائقة للتحدث، لكنه اعتاد شجارها الذي ينتهي بأسابيع لا يراها فيها، فلم يهتم كثيرًا بالشكليات المعتادة.. أما هي فقالت بصوت قوي يحمل رائحة غضبها المكتوم: ما الذي كان يفعله (فيلرز) هنا؟

يبدو أن شجار هذه الليلة سيكون مسليًا.. لذا جلست أنا على المقعد الخاوي في الركن لأتابع حوارهما الشيّق..

لا تسألي عمّا لا يخصك..

هكذا أجاب الملك بصرامة، لكن رائحة الغضب تزايدت في صوت (هنريتا): و هل سفره ليواصل حربه على فرنسا لا يخصني..

هنا أدركت أنا والملك أن الخدم يمارسون عملهم في نقل الأسرار بهمة ونشاط، فاستشاط (تشارلز) غضبًا وصاح: أتتجسسين عليّ يا امرأة؟؟

أنت الذي فقدت عقلك.. تتبع كل يقوله لك هذا الأحمق (فيلرز) كالعميان..

إنه يعرف ما يفعله.. فقط احتفظي أنت بآرائك لنفسك..

هنا فقدت (هنريتا) أعصابها، وهبّت واقفة لتمارس ما نسميه نحن (بالردح) في أفضل صوره: هذا الغبي ورّطك في حروب لا داعي لها.. وأرهق الميزانية في إنفاقه على سلسلة هزائمه، ولم ينجح في مهمة واحدة أسندت إليه منذ كان يعمل مع والدك.. انزل إلى شعبك وجد لي شخصًا واحدًا يؤيد تصرفات هذا المخبول.. أم أنك تظن أن حل البرلمان سيعيد ثقة الجميع فيه وفيك.. ما لا أفهمه حقًا هو كيف ورثت أنت غباء أبيك لتمنح هذا الفاشل ثقتك..

بهت (تشارلز) مما سمعه، وعجز عن الرد بكلمة واحدة تحفظ له كرامته، فاكتفى بأن أخذ وجهه يحتقن ويحتقن، ليهبّ واقفًا في النهاية وليغادر القاعة في خطوات سريعة..

شجار آخر سينتهي بعدة أسابيع لن يتبادلا فيها حرفًا، لكنه يشعر أنها – نوعًا ما – محقة هذه المرة..

فعلاً لو لم يحقق (فيلرز) نصره المزعوم هذه المرة ستكون كارثة..

أمّا (هنريتا) فقد ظلت في مكانها ترتجف غضبًا، حتى غاب الملك تمامًا عن بصرها، لتصيح في النهاية: (صوفيا)..

أسرعت لها خادمتها الفرنسية بخطوات رشيقة، فأردفت (هنريتا) بحزم: أريد أن أرى (فلتون).. الليلة..

ثم إنها انتظرت حتى غابت خادمتها لتنفذ أمرها، لتردف همسًا: يجب أن أضع حدًا لهذا كله.. يجب..

حاولت أنا تذكر اسم (فلتون) هذا لكنني فشلت..

إنني أشمّ رائحة مؤامرة من مؤامرات القصور المعتادة.. لكنني لا أفهم شيئًا على الإطلاق..

و الأهم من هذا كله..

أين صاحبة الشبح؟..أين؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4- الساحر..

إنها ليست في القصر وأنا واثق من هذا..

لقد قضيت ليلتي كلها في البحث في غرف هذا القصر التي لا تنتهي، ثم خرجت إلى الحديقة ومنها إلى المنازل المجاورة، لكنني لم أجد أثرًا لصاحبة الشبح..

حتى الآن لم أرى سوى شجار ومؤامرة وخطط لحروب لا طائل منها، ورائحة قذرة تفوح من هذا كله، لكن لا أثر للفتاة.. على أية حال لقد قررت أن ألزم القصر حتى تظهر..

ما دمت قد انتقل من عصري إلى هذا القصر، فلابد أن ستظهر فيه إن آجلاً أو عاجلاً..

في اليوم التالي ومع ساعات النهار الأولى، استقبل القصر موكب الأمير (تشارلز) الثاني، عائدًا من رحلة صيد، وكما ترى في هذا العصر كان هناك هوس أن يسمي كل ملك ابنه باسمه، وإنني أرى في هذا نوع من ضيق الأفق الذي لا يمكن إنكاره..

كان الأمير (تشارلز الثاني) في الثانية عشرة من عمره، لكنه كان يحمل من الغرور وحب الذات ما يكفي لمن هم في أضعاف عمره.. وكان الخدم من حوله – والذي كانوا يقومون بمهمة كلاب الصيد حاليًا – يحيطون به كالذباب، يهنئونه على صيده الوفير – والذي لم يقم به بنفسه غالبًا – وينتظرون ما سيلقيه لهم في النهاية..

و بالفعل نثر عليهم الأمير بعض العملات الذهبية، بقرف واضح ثم ترجل من العربة الفاخرة، وانتظر أمامها ليخرج شاب آخر يكبره بسنوات قليلة.. ولأن الأمير يشبه أباه الملك جسديًا إلى حد كبير، لذا سأصف لك الشاب الآخر توفيرًا للوقت..

طويل كالأفارقة.. لكنه نحيف كأنه قادم لتوه من مجاعة.. عظامه كبيرة وتبرز بوضوح من أسفل رداءه الخفيف.. يملك أكبر كفين رأيتهما في حياتي، وله وجه مريح، تطل منهما عينان باسمتين وقد تألق شعره الذهبي في ضوء الشمس كالتاج..

و بلياقة تليق بأمير أشار له (تشارلز الثاني): - مرحبًا بك في قصرنا المتواضع..

أجابه الشاب بصوت وقور:

أشكرك.. فقط أخبر جلالة الملك أنني راغب في لقاءه..

سأرسل له من يبلغه بمجيئك.. فقط اتبعني إلى الداخل..

و هكذا تحرك الإثنان وأنا من خلفهما إلى القاعة الرئيسية، ليشير (تشارلز الثاني) إلى أحد الخدم بتأفف: - أبلغوا الملك أن ضيفًا مهمًا في انتظاره..

ثم إنه استدار إلى الشاب ليردف برقة:

سأصعد لأغتسل وأبدل ملابسي، وسأعود لك حالاً..

خذ وقتك..

و بينما اتخذ الشاب مجلسه على أحد المقاعد، أسرع الأمير يصعد الدرج ليجد والده في الممر وقد بدا عليه أن لم ينم طيلة الليل، ليدور بينهما هذا الحوار الدافيء: - إذن لقد عدت من رحلة الصيد..

- نعم.. أين هي أمي؟

- للأسف لاتزال على قيد الحياة في غرفتها.. وللأسف أنت أيضًا..

- تبادلني ذات الشعور إذن.. هناك من ينتظرك في الأسفل.. إنه شاب قابلته في رحلة الصيد وأنقذ حياتي حين هاجمتنا إحدى الدببة في الغابة.. لقد قتله بخنجر صغير فقط.. يا له من شجاع!

- ليته لم يفعل..

- يقول أن اسمه (آرثر فاولز) ويقول أنك تعرف أنه..

لكنه لم يجد الفرصة ليكمل جملته، إذ دفعه الملك بغلظة، وأسرع يهبط الدرج إلى الأسفل، ليجد الشاب ينحني له باحترام، قائلاً: أرجو ألا أكون قد أيقظتك..

لكن الملك أجاب بلهفة لا تليق به:

إنني أنتظرك منذ الأمس.. الدوق (فيلرز) أخبرني أنك قادم..

عظيم.. أريد أن أختلي بك فما جئت من أجله لا يحتمل التأجيل أو أن يشاركنا في سماعه أحد..

لنذهب إلى غرفتي الخاصة إذن..

و بخطوات ثابتة واسعة تبع الشاب (آرثر) الملك إلى غرفته الخاصة، لكن الملك لم يكد يغلق الباب حتى قال (آرثر) بهدوء: - انتظر.. لديكم هنا خادمة اسمها (صوفي).. فرنسية..

أجابه الملك والدهشة تطل من ملامحه:

نعم.. كيف عرفت؟

سأشرح لك لاحقًا.. لكنني الآن أرغب أن تنضم لنا (صوفي)..

ماذا؟!

أؤكد لك أن الأمر يستحق.. فقط دعها تسرع بالحضور..

هكذا خرج الملك من الغرفة للحظات، أخذت أنا فيها أرمق (آرثر) الذي وقف هادئًا وملامحه لا تحمل سوى الودّ والثقة، ثم عاد الملك للغرفة ليقول بضيق من لا يفهم ما يفعله: إنها قادمة..

عظيم.. لقد مات دوق باكينجهام (جورج فيلرز) صباح اليوم..

هنا صاح الملك بجزع حقيقي:

مات؟ كيف؟؟.. مستحيل!!

لكن (آرثر) والذي يبدو أنه لا يوجد شيء قادر على التأثير على هدوءه، أجاب: للأسف هذا ما حدث..

لا أصدق..

هنا وضع (آرثر) كفه على كتف الملك الذي أخذ يرتعش ذهولاً، وقال: منذ هذه اللحظة ستصدق كل ما أخبرك به بلا نقاش.. والآن تماسك.. فالخادمة ستطرق الباب حالاً..

و لدهشتي تصاعدت طرقات ضعيفة على الباب، ثم فتحته الخادمة (صوفي) لتدخل قائلة: - أخبروني أن سموّك ترغب في رؤيتي..

لم يجب الملك بل منح (آرثر) نظرة خاصة، تحرك على إثرها (آرثر) متجهًا لـ (صوفي) قائلاً بابتسامة تبعث على الطمأنينة: لحظة من فضلك..

ثم وبسرعة خاطفة استل خنجرًا صغيرًا من كم سترته، وشقّ به عنق (صوفي) في لمح البصر، ليطير خيط من الدماء إلى وجه الملك الذي شهق مذهولاً، بينما قبض (آرثر) بكفه الضخمة على عنق (صوفي) ليوقف النزيف، فأخذت تنتفض وقد حمل وجهها مزيجًا فريدًا من الذهول والرعب والألم، دون أن تجد حتى الفرصة لتصرخ..

كل هذا حدث في ثانية حتى أنني لم أستوعب ما يحدث إلا وقد حدث فعلاً..

حاول الملك أن ينطق بشيء، لكن ذهوله ألجم لسانه، بينما اتسعت ابتسامة آرثر الهادئة وهو يقرب فمه من أذن (صوفي) التي أخذ وجهها يشحب بسرعة مخيفة، وجسدها لا يزال ينتفض كورقة، ليقول: لو تركت عنقك الآن ستنتزفين

حتى الموت.. لن يستغرق هذا سوى لحظات معدودة.. فقط استسلمي لي وسينتهي الأمر بلا ألم..

وجه (صوفي) يزداد شحوبًا وعينيها الجاحظتين لا تصدقان ما حدث لها، والملك لم يتمالك نفسه بعد، و(آرثر) يبتسم في هدوء..

هل ستساعدينني ؟

إنها حتى لا تملك القدر على هز رأسها، لكنها جاهدت لتحرك عينيها بأن (نعم)، فغابت ابتسامة (آرثر) عن وجهه، وتسللت الصرامة إلى صوته وهو يسأل: من الذي قتل (فيلرز)؟

الدماء تتسلل من بين أصابع (آرثر) لتسيل على صدر (صوفي)، والملك لم يتمكن حتى من غلق فمه الفاغر لآخره.. وبآخر ما تملك من طاقة الحياة نطقت (صوفي) ليخرج صوتها متحشرجًا: ف.. فلتون.. جون فلتون..

(جون فلتون) التي طلبت (هنريتا) رؤيته!

هذا ما كانت تخطط له إذن!

و أخيرًا همس الملك (تشارلز) غير مصدقًا:

- لا أصدق..

لكن (تشارلز) تجاهله تمامًا وواصل فحيحه في أذن (صوفي): رائع.. والآن لو تركتك هل ستعديني أنك ستتوقفين عن نقل أحاديث الملك لمخدومتك؟

لو تركتك؟.. ما الذي يقصده؟!

تهز (صوفي) - والتي يبدو أنها صدقت - رأسها هزة خفيفة ليزيد تدفق الدماء من بين أصابع (آرثر) التي تقبض على عنقها بقوة لا ترحم..

و تعود الابتسامة الهادئة لشفتي (آرثر)، ليخفف من ضغطه على عنق (صوفي) قائلاً: - سأعتبر هذا وعدًا لن تحنثين به أبدًا..

ثم إنه ترك عنقها ببساطة، لأنتفض أنا هذه المرة وأنا أحدق في عنقها الذي لم يحمل أثر لأي جرح..

مستحيل!

أنا رأيته يشق عنقها!!

ثم.. ثم إن الدماء لا تزال على صدرها وأصابع (آرثر) ووجه الملك، الذي فقد قدرته على النطق وهو يرى (صوفي) تهوي على ركبتيها وهي تلهث في عنف

ودموع الفرحة بالنجاة تنهمر من عينيها بلاتوقف..

و بأناقة انحنى (آرثر) ليضع منديلاً بين أصابعها، قائلاً: - نظفي نفسك ثم اتركينا.. فلدي ما أوّد مناقشته مع الملك..

لكن (صوفي) – والتي يبدو أنها جنّت تمامًا – أخذت تبكي بهستريا، وهي تغادر الغرفة جريًا كأنما الجحيم يمدّ ذراعيه ليختطفها..

أمّا أنا فلقد نسيت كل شيء يتعلق بالفتاة صاحبة الشبح، وقد تردد سؤال واحد في أعماقي بألف صدى..

من هذا الرجل؟؟ من؟؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد نصف ساعة كاملة، استعاد الملك قدرته على السيطرة على نفسه، ليجلس أخيرًا مواجهًا (آرثر) الذي جلس بهدوء شديد واضعًا ساقًا على ساق، عالمًا أن الملك لن يجرؤ على الإعتراض أبدًا..

و بصوت راجف قال الملك:

- ما الذي تريد قوله؟

- هل ستصدقني بلا مناقشة؟

ألقى الملك بنظرة سريعة على المنديل الذي مسح به دماء (صوفي) عن وجهه، ثم أجاب: نعم..

رائع.. الآن أنت تعرف أن دوق باكينجهام قتل وتعرف أيضًا من قتله.. لكن ما لا تعرفه أن أمامك سلسلة من الهزائم المخزية كنهاية للمعارك التي بدأها عزيزنا (فيلرز)..

لم يعرف الملك هل يأسف حقًا على رحيله أم يلعنه على الورطة التي أوقعه فيها، لكنه صمت على أية حال ليواصل (آرثر): أي هزيمة الآن ستضعف من موقفك كملك لهذه البلاد، وسيجد فيها البرلمان فرصة خصبة لإنتقادك وتوجيه اللوم لك..

أجاب (تشارلز) بمرارة:

أعرف.. أعرف ولا أجد حلاً..

و أنا هنا أحمل لك الحل.. لكن يجب أن تكون مستعدًا لدفع الثمن..

بلهفة لا حد لها هتف (تشارلز):

أي شيء تطلبه..

لكن (آرثر) كرر ببطء:

يجب أن تعرف ما هو الثمن الذي سأطلبه أولاً لتعرف إن كنت قادر على دفعه..

هنا تراجع الملك بظهره في مقعده وقد استعاد حاسته الملكية، ليقول: و هل هناك ما أعجز أنا عنه؟

مادام الأمر كذلك فإنني أرغب في دماء.. دماء الأميرة ابنتك..!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5- الأميرة السرية..

صحيح أنني هنا للبحث عن الفتاة صاحبة الشبح، لكنني – أصارحك – انغمست تمامًا فيما حدث في تلك الغرفة التي حوت الملك الذاهل و(آرثر) الهاديء كالغيوم ، حتى نسيت مهمتي الأصلية تمامًا..

إن الحوار الذي يدور في هذه الغرفة الآن يستحق أن تنقشه كتب التاريخ نقشًا على صفحاتها..

الملك يبتلع ريقه بصعوبة ليقول:

ابنتي.. أنا؟

نعم.. ابنتك الأميرة (ليديا)..

(ليديا).. عمّن تتحدث؟.. بناتي لا يحملن هذا الاسم.. ولا واحدة منهن..

إنك تتحدث عمّن تعرف، وأنا هنا لأخبرك بما لا تعرف ولم تكن لتعرف لولاي..

عن ماذا تتحدث بالضبط؟؟

عنّك حين كنت في السادسة عشر.. عن زيارتك لـ (ويلز).. عن ذلك حفل الشواء الذي أقمته مع رفاقك في الخلاء.. هل تذكر يا جلالة الملك؟

و كمن ينفض الغبار عن ذكريات حسبها ماتت تمامًا، بدأ الملك (تشارلز) يتذكر..

في تلك الليلة أراق هو ورفاقه من النبيذ ما يكفي لتفقد أمة كاملة عقلها.. هو بالذات شرب أضعاف ما شربه الجميع وكأنه كان يتحداهم.. وهو أول فقد وعيه في تلك الليلة..

لكنه حين استيقظ وجد تلك الفتاة القروية تلملم ملابسها في خيمته، وهي تبكي ففهم وإن لم يهتم.. إنه شرف لهذه الحمقاء!

لقد ظنّ حينها أن الأمر انتهى عند هذا الحد، لكنه ها هو الآن وبعد سنوات طويلة يكتشف أن هذه الليلة أثمرت بابنة لم يعرف إلا الآن أن اسمها (ليديا)..

و هاهو الآن مطالب بأن يمنح دماء هذه الإبنة لهذا الشاب الذي يجلس أمامه يرمقه في هدوء كأنه على وشك النوم..

كيف يجرؤ؟!

و بغضب الدنيا هبّ الملك واقفًا، ليصرخ في ثورة عارمة:

- من أنت يا هذا لتقايضني؟.. ألا تعرف أنني قادر على أن أحصل منك على ما أبغي دون أن أدفع لك شيئًا؟؟

أجابه (آرثر) ساخرًا:

حقًا.. أهذا ما تعرفه عني؟.. ألم يحدثك عني (فيلرز) ولو قليلاً..

أعرف.. أنت ساحر وتملك قدرات خارقة وقدرة على معرفة ما سيحدث في المستقبل، لكن هذا كله من الممكن أن ينتهي بضربة سيف واحدة..

بهدوء قام (آرثر) واتجه بخطوات هادئة إلى أحد السيوف الذهبية الملعقة على الجدران من باب الزينة، ليتناوله ببساطة، قائلاً: سيف كهذا؟

تراجع الملك في خوف:

ما.. ما الذي ستفعله؟.. إنك في قصري ولن تخرج من..

لكن الملك لم يجد فرصة لإكمال جملته، فبسرعته الخاطفة استل (آرثر) السيف من غمده، ليغرسه بدقة شديدة في قلبه!

قلبه هو!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حين خرج الملك في النهاية من الغرفة كان على قناعة تامة أنه سيمنح (آرثر) دماءه هو لو أراد، ولم أكن أنا لألومه أنا في الواقع..

أنا أيضًا رأيت كيف غرس (آرثر) السيف في قلبه، لينتزعه ببساطة ويعيده لغمده وابتسامته لم تفارق وجهه..

لكنه لن يمنحه دماءه.. بل دماء ابنته (ليديا)..

هل سيفعلها حقًا؟

هل سيجرؤ؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في تلك الليلة قرر الملك أن ينطلق في رحلة سرية إلى ويلز، ولقد كانت سرية بالفعل، فلابد أن الخدم الذي رأوا ما أصاب (صوفي) أدركوا أخيرًا أن عليهم ألا يتدخلوا فيما لا يعنيهم..

فقط انتقى (تشارلز) ثلاثة من أفضل حراسه، وارتدى مثلهم لتنقلهم أحد العربات العسكرية التي تجرها الجياد إلى ويلز، وأنا – بالطبع – معهم دون أن يشعروا..

لم يذهب معهم (آرثر) بل آثر انتظار الملك في القصر، لتكون أفخر غرف ضيافة القصر من نصيبه، وعشرات التحذيرات للجميع بأن أوامر هذا الضيف يجب أن تطاع دون مناقشة..

صحيح أنني كنت أوّد البقاء معه لمراقبة ما سيفعله حتى يعود الملك، لكن لسبب ما شعرت أن ما أبحث عنه سينتظرني هناك..

في ويلز..

و هكذا مضت الساعات في تلك الرحلة الشاقة بطيئة كئيبة، لم ينطق فيها الملك ولو حرفًا واحدًا، بل قضى رحلته يقلب الأمر كله في رأسه محاولاً اتخاذ قرار لا يندم عليه كثيرًا أو طويلاً..

و في النهاية انتهى بنا المطاف أمام أحد المنازل المتواضعة، وقد بدأت شمس الفجر تشق طريقها بثقة في السماء ناشرة ضوءها الذهبي في أرجاء المكان..

جو كهذا لا يوحي بشر، بل بصباح ربيعي دافيء مطمئن..

جو كهذا لا يوحي بأن ما حدث في هذا اليوم كان من الممكن أن يحدث أبدًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6- ليديا

حين فوجئت العجوز (ماريانا) بثلاثة من حراس الملك يطرقون بابها مع ساعات الفجر الأولى توجست خيفة، لكنها حين رأت الملك شخصيًا كاد قلبها أن يتوقف هلعًا..

إنها تذكر الملك وتذكر ما بدر منه يوم كان في السادسة عشرة حين شرب حتى الثمالة، لكنها تعرف أن الأهم من هذا كله أنها أخفت عنه سرًا ما كان لها أن تخفيه، وها هو يوم دفع الثمن قد جاء..

صحيح أن (تشارلز) حاول أن يهدئ من روعها، ليجلسها في النهاية أمامه، فأخذت تذرف الدموع أمامه بلا توقف، فصرف هو الحراس قائلاً: انتظروني في الخارج ولا تسمحوا لأحد بالدخول أو الخروج إلا بأمري..

ثم إنه التفت إلى (ماريانا) الباكية ليحدجها بنظرة صارمة، طالت قليلاً قبل أن يقول أخيرًا: لماذا لم تخبريني؟

سامحني يا مولاي.. إنني.. إنني..

لكن (تشارلز) كرر غاضبًا:

لماذا لم تخبريني يا امرأة؟

خشيت أنت تقتلني أو أن تقتلها.. إنني خادمة تفوقك عمرًا وما حدث لم يكن سوى خطأ غير مقصود وأنا المسئولة و.. و..

و شعرت أنا بغصة مريرة في حلقي وأنا أرى الضحة تعتذر للجلاد عما بدر منه!

- أرجوك ارحمنا وسنترك نحن البلاد كلها.. لن ترانا بعد اليوم ولن تسمع عننا أبدًا..

لكن الملك قال بصرامة:

أنت لن تقومي من على مقعدك إلا بموافقتي.. أين هي..؟

و تردد لحظة وهو يفكر أيقول (ابنتي) أم (ليديا)، لكنه قال أخيرًا: - أين هي؟

- نائمة في غرفتها.. أرجوك.. أنا لا أريد منك سوى حياتنا..

سبحان الله!.. كـأن منح الحياة أو أخذها بيد هذا البشري البائس الذي لن يغنيه لقبه أو ثروته في شيء يوم يأتي الحساب..

أريد أن أراها..

قالها الملك بلهجة شممت فيها رائحة الاشتياق..

نعم.. هذا الملك – وعلى الرغم من كل شيء – يريد أن يرى ابنته!

ترددت (ماريانا)، فطمأنها الملك قائلاً: لا تخافي..

نطقها أخيرًا لتهديء من روع الأم، التي كفكفت دموعها، وأسرعت لتوقظ (ليديا)، تاركة الملك يصارع عشرات الإنفعالات والأفكار التي تموج بها أعماقه..

إنه عاجز تمامًا عن اتخاذ أي قرار..

أن تخسر كل شيء وتكسب ابنتك أو..

إنني أشعر بما يشعر به تمامًا..

لحظات ثم عادت (ماريانا) بخطوات راجفة، ومن خلفها فتاة ترتدي منامتها، وتفرك عينيها الساحرتين في نعاس، وهي تتساءل متثائبة: من هذا الذي يزور في الـ..

ثم إنها أزاحت يديها عن عينيها لتبتلع تساؤلها في ذهول ولأرى أنا وجهها بوضوح تام..

إنها هي.. هي..

الفتاة صاحبة الشبح..

إنها (ليديا) التي فوجئت بملك البلاد يجلس في ردهة دارها المتواضع، لتنسى القدرة على الحركة أو النطق، ولينسى هو كل شيء سوى أنه يحدق في ابنته التي لم يرها حتى هذه اللحظة..

يا لها من جميلة.. يالها من رقيقة.. يالها من بريئة!

حقًا لقد نزعت حياة الملوك أي رقة أو جمال عن باقي أولاده، أو أن هذه الفتاة حصلت على نصيبهم من الإثنين..

و بإرتباك قالت (ماريانا):

- انحني لجلالة الملك يا فتاة..

لكن الفتاة لم تفهم حتى ما قيل لها.. فقط تركت (تشارلز) يهب ببطء من على مقعده.. يتجه لها واللهفة تطل من عينيه.. يمد ذراعيه لها..

يحتضنها ويبكي!

و يبكي ويبكي ويبكي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد ساعات من البكاء ومن الشرح ومن الاعتذار وتبادل الذكريات، كانت شمس الظهيرة تنتصف السماء، و كان الملك قد اتخذ قراره..

(ليديا).. أريدك أن تهربي الليلة.. ابتعدي قدر الإمكان ولا تخبرينني حتى بمكان تواجدك..

ماذا؟!

لن يمكنني تفسير هذا الآن.. فقط حين أعلن في أحد الأيام أنني راغب في الاحتفال بأعياد الربيع تعالي إلى القصر.. كنت سأترك لك بعض الحراس ليرافقونك، لكنني لم أثق في أحد..

صمتت (ليديا) تقلب الأمر في رأسها لهنيهة، ثم أجابت: لا.. لن نرحل..

قالتها فانتفضت (ماريانا) هلعًا وهي ترى ابنتها تخالف الملك الذي صاح: كيف تجرؤين؟

إننا كما ترى لا نملك سوى منزلنا هذا ومزرعتنا التي كافحت أمي حتى تمتلكها والتي منها نعيش الآن.. لن نترك هذا كله لنجوب الأراضي تاركين كل ما نعرف وكل من نحب، لنبدأ من جديد..

كان منطقها معقولاً، لكنني انتبهت إلى كلمة (من نحب) لأفهم الصورة كاملة على الفور..

الفتاة تحب ولا تريد ترك حبيبها حتى لو كانت حياتها معرضة للخطر..

لكن (تشارلز) وقد تذكر أنه الملك، قال: إنني لا أطلب منك بل آمرك.. لو لم تتركا هذا المنزل الليلة سوف.. سوف...

أجابته (ليديا) بتحد:

سوف ماذا؟

سوف أقتلكما بيدي لأوفر على نفسي مشقة القلق عليكما..

منطق معقول أيضًا، دفع (ماريانا) للهتاف: الليلة.. الليلة سنرحل ولن ترانا بعد اليوم..

بل سآركما حين يصبح هذا آمنًا.. وبالنسبة للأرض والمنزل..

و أخرج من طيات ملابسه صرة امتلأت عن آخرها بالعملات الذهبية، ليكمل: - فهذا سيكفي ثمنًا لهما وأكثر.. ولو احتجتما للمزيد في أي وقت ستحصلان عليه..

عادت (ليديا) تردد غاضبة:

لكنني لا أريد الرحيل ولا أن..

أخرستها صفعة ملكية حارة، تركت الدماء محتشدة في وجنتها، والملك يقول: قلت لك أنه أمر، وأنا أوامري لا ترد أبدًا..

هكذا لم تملك الفتاة سوى دموعها لتمنحها للملك: لا أريد الرحيل...

صدقيني يا ابنتي ولا أنا.. لكنه من أجلك أنت.. والآن يجب أن أرحل أنا قبل أن يشعر بي أحد..

و همّ بالرحيل بالفعل حين نادت عليه (ليديا) متسائلة: - كيف تكون الملك وتعجز عن حمايتنا؟؟

صمت (تشارلز) طويلاً هذ المرة، ثم أجاب بلهجة تقطر مرارة: حتى الملك يعجز أحيانًا..

و منكس الرأس خرج الملك من الدار، بينما ظللت أنا في الداخل..

لقد عثرت على الفتاة ولم يعد هناك مبرر لي لأعود للقصر.. أو هذا ما آمله..

وفقًا لما حدث حتى الآن لم يعد هناك مبرر لمقتل الفتاة.. (تشارلز) حذرها بنفسه..

ما الذي حدث إذن؟..

من قتلها؟ وكيف؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7- يجب أن أراه!..

كما توقعت لم يكد الملك يغادر، حتى أسرعت (ليديا) إلى أمها قائلة: أمي.. يجب أن أودّع (مارجريت) قبل أن أرحل..

أهذا وقته؟؟

إنها صديقتي الوحيدة ولن أرحل دون أن أودعها..

و ما إن ارتدت ملابسها، حتى غادرت المنزل بخطوات هي أقرب إلى العدو، وأنا من خلفها ألاحقها كظلها، لنصل إلى منزل (مارجريت) التي كانت تحمل دلو ماء جاءت به من البئر القريبة، وتسير به متثاقلة متجهة إلى منزلها، لتفاجأ بـ (ليديا) تنادي عليها صارخة: - توقفي ي ي ي ي ي.. لا تدخلي للمنزلللللللللللللل..

توقفت (مارجريت) ذاهلة، ترمق (ليديا) التي أخذت تهرول تجاهها، وصراخها يملأ الفراغ المحيط بهما: انتظرينيي ي ي ي ي ي ي

ثم بلغتها أخيرًا لتهوي على ركبتيها ولتبدأ في اللهاث، فسألتها (مارجريت) بقلق: ما الذي حدث؟

نحن.. هاه هاه.. سنوف.. نرحل.. هاه هاه.. اليوم..

ماذا؟!!

لا وقت للشرح.. هاااااااه.. يجب أن تخبري (ويليام).. يجب أن يأتي إلي قبل مغيب الشمس..

إلى أين سترحلين؟ وما الذي حدث؟ ولماذا؟

قلت لك أنه لا وقت للشرح.. فقط اصغ لي ونفذي ما أطلبه.. اذهبي إلى (ويليام) الآن واطلبي منه أن يأتي ليراني للمرة الأخيرة..

ثم إنها انتبهت فجأة أنها ستفتقد صديقتها، لتنهمر الدموع من عينيها فجأة، ولتقفز على (مارجريت) تحتضنها بقوة أسقطت دلو الماء من يدها..

سأفتقدك يا صديقتي..

أسقطت الماء يا حمقاء.. سأضطر للعودة للبئر..

ليس الآن.. (ويليام) قبل كل شيء.. وداعًا..

قالتها ثم بدأ تهرول مبتعدة وأنا من خلفها.. هذه الفتاة تملك طاقة الأطفال وسذاجتهم..

خسارة أن تقتل.. خسارة..

لكن هذا ما سيحدث الليلة على أية حال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و بعد أن وصّبت أمها (ماريانا) أمتعتهم كلها أدركت أنهما لن يتمكنا من حمل هذا كله، وأن عليها البدء من جديد لأخذ الضروري فقط، فنادت على ابنتها: - (ليديا).. ساعديني لننتهي سريعًا..

لكن (ليديا) أمسكت ببطنها متظاهرة بالألم، وهي تجيب: آسفة يا أمي.. أشعر بتوعك وأعتقد أنه يجب أن أرتاح قليلاً قبل أن نغادر..

لكن..

فقط سأشرب بعض الماء الدافيء وألازم فراشي لساعة أو ساعتين، بعدها سنهرب من هنا..

و قبل أن تمنح أمها فرصة للرد أسرعت إلى غرفتها وأغلقت الباب عليها، ثم طفقت تنتظر جوار النافذة، تراقب الأفق بحثًا عن فارسها (ويليام)..

و لنفسها همست:

- أرجوك تعال.. أرجوك..

و بالفعل لم تكد الشمس تشارف على المغيب، حتى طارت زهرة يانعة من النافذة لتسقط قرب فراش (ليديا) التي لم تكد تراها، حتى أسرعت إلى النافذة لتجد فارسها (ويليام) يقف مبتسمًا في حب..

- ويليام!..

- جئت من أجلك يا أميرتي..

و اتجهت أنا إلى النافذة لأرى (ويليام) هذا لأول مرة..

طويل كالأفارقة.. لكنه نحيف كأنه قادم لتوه من مجاعة.. عظامه كبيرة وتبرز بوضوح من أسفل رداءه الخفيف.. يملك أكبر كفين رأيتهما في حياتي، وله وجه مريح، تطل منهما عينان باسمتين وقد تألق شعره الذهبي في ضوء الشمس الغاربة كالتاج..

هذه المواصفات ليس جديدة.. إننا نذكرها جيدًا..

إنه (آرثر)!

الساحر!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت ذاهلاً وعاجزًا عن فهم الموقف، بينما (ليديا) تقفز عبر نافذتها لترتمي في صدر فارسها (ويليام)، ودموعها تسبقها، على نحو دفعه للتساؤل: ما الذي حدث يا (ليديا)؟؟

هكذا بدأت (ليديا) تحكي له كل ما حدث من الفجر وحتى رأته، وإمارات الدهشة وعدم التصديق تتعاظم على وجه (ويليام) تدريجيًا، ليهتف في النهاية بصوت مبحوح: لن أراك بعد اليوم!.. مستحيل!

لا مفر.. ما هي إلا ساعة أو أقل وسنرحل إلى الأبد..

و أنا لن أتركك ترحلين.. أعني لن أتركك ترحلين وحدك..

ستأتي معنا؟؟

بل أنت ستأتين معي..

صدمت (ليديا) من رده، فشرح هو:

- سآخذك إلى حيث سنتزوج ونعيش سويًا ولن يفرقنا أحد..

- وماذا عن أمي؟.. لا يمكنني أن أتركها..

- أنت تعرفين أنها لا تطيقني ولن ترضى بي مهما حاولت.. والآن فهمت لماذا؟.. إنها لن تزوج ابنة الملك لمزارع فقير..

استوعبت (ليديا) هذا المنطق لأول مرة، فقالت: لازلت أصر على أنني لن أتركها وحيدة..

إذن سترحلين معها ولن تريني بعد اليوم..

أنا لا أريد هذا..

لكنه خيارك أنت.. الآن ستقررين إن كنت ستذهبين معي أم معها..

صمتت (ليديا) في حيرة، وبدا أن الصراع الدائر في عقلها الآن أقوى من قدرتها على التحمل، لكن أمها التي ظهرت عند النافذة فجأة صارخة: (ليديا).. ما الذي تفعلينه؟؟

انتفضت (ليديا) في رعب، وأمها تواصل: ألم أحذرك من رؤية هذا الوغد؟.. تعالي هنا فورًا..

الآن يتحول الصراع من الإختيار بين حبيبها وأمها، إلى الإختيار بين حبيبها وبين عجوز غاضبة تصرخ بعصبية.. صراع نتيجته محسومة سلفًا..

أمي أنا لن آتي معك..

ماذا؟!!

سأرحل مع (ويليام).. سأتبع قلبي..

قالتها والتحدي يطل من عينيها، فصاحت أمها بهلع: لكن الملك أمرنا بالرحيل و..

قاطعها (ويليام):

و أنا سأهرب بها بعيدًا.. سأحميها بحياتي..

اخرس أنت أيها الوغد.. (ليديا).. إنني آمرك بالمجيء معي..

فتجيب (ليديا):

و أنا قلبي يأمرني بالذهاب معه..

إذن سأجبرك على تركه..

قالتها الأم وغابت من النافذة متجهة إلى الباب لتأتي إليها، فقال (ويليام) في لهفة: الآن يا (ليديا).. الآن أو لا للأبد..

لحظة تردد، ثم تحسم (ليديا) أمرها:

هيا بنا..

على الفور صفّر (ويليام) صفيرًا طويلاً منغومًا، ليأتي جواده الرشيق من الغابة القريبة، وليحمل (ويليام) أميرتنا بساعده القوى، ليضعها على صهوة جواده، وليعتليه هو الآخر أمامها..

و في اللحظة التي وصلت فيها الأم إليهما، كان الجواد يضرب الهواء بحافريه الأماميين، ثم ينطلق كالسهم مبتعدًا، و(ليديا) تصرخ: - وداعًا يا أمي.. سنلتقي يومًا ما..

و تصرخ (ماريانا) مرتاعة:

- ليديااااااااااااااااا

لكن ابنتها تغيب في الأفق بسرعة، مخلفة وراءها عاصفة من الغبار، وقد عادت دموعها تشوي وجنتيها..

و لنفسا تهمس:

- وداعًا يا أمي..

أما أنا وقد أخذت ألاحقهما، أخذت أحاول الإجابة عن سؤال منطقي للغاية..

إن كان (وليام) هو

(آرثر).. فلماذا فعل هذا كله؟

لماذا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8- ليلة الدم..

حبيبان على صهوة جواد ينطلقان إلى حيث لا يعرفان، فكل ما يبغيانه هو الإبتعاد وكفى.. فهل يملكان فرصة؟

لو كان هذا فيلمًا رومانسيًا فريما كانت الإجابة نعم، لكن في قصتنا هذه نحن نعرف النهاية مسبّقًا، فقط نحن نحاول الآن فهم كيف حدثت..

و أنا سأخبرك الآن كيف كانت بداية النهاية..

فجأة شقّ الهواء سهم رفيع، مصدرًا فحيحًا طويلاً، قبل أن يخترق عنق (ويليام) الذي لم يجد حتى الفرصة ليصرخ، بل طار من على صهوة جواده، وسقط أرضًا، بينما دوى فحيح سهم آخر اخترق صدر الجواد، الذي أطلق صهيلاً أخيرًا وهو يتلوى واقفًا، ليسقط (ليديا) الصارخة، قبل أن يهوي هو ذاته بلا حراك..

و في الغابة المظلمة دوى صراخ (ليديا) بألف صدى، وهي تسرع نحو فارسها الذي ندت عنه حشرجة مكتومة وهو يمسك بعنقه التي سالت منها الدماء ببطء..

- وليااااااااااااااااام!

لكن (وليام) لا يرد..

و كالأشباح خرج سبع رجال ملثمين ومتشحين بالسواد من وراء الأشجار، شاهرين سيوفهم في وجه (ليديا) التي أخذت تصرخ في رعب هستيري.. من لحظة كانت وراء فارسها ينطلقان إلى حيث سيتزوجان، والآن هي على الأرض جواره تراه يحتضر بينما يحيط بها قتلته في دائرة مغلقة..

رآهم (ويليام) فشعر بالمرارة وهو عاجز أن يحمي حبيبته منهم، بينما تقدم أطول الرجال تجاههم بتؤدة، ثم وببطء واثق أزاح اللثام عن وجهه..

طويل كالأفارقة.. لكنه نحيف كأنه قادم لتوه من مجاعة.. عظامه كبيرة وتبرز بوضوح من أسفل رداءه الخفيف.. يملك أكبر كفين رأيتهما في حياتي، وله وجه مريح، تطل منهما عينان باسمتين وقد منحه ضوء القمر بريق فضي شاحب..

(آرثر).. الحقيقي!

و ما إن رآه (ويليام) حتى انتزع كلمة واحدة من حلقه: - أخي!!

و ذاهلة همست (ليديا):

- آرثر!!

أما (آرثر) فقد أجاب بهدوءه الرهيب:

لقد حان وقت الحساب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

" أحسبك الآن في حالة تسمح بأن أقص عليك ما حدث.. "

يقولها (آرثر) بهدوء شديد، تسللت إليه لمحة من الإستمتاع، وقد استرخى على مقعد مريح، في مقره القريب من الغابة، محدثًا (ليديا) التي تمددت أمامه على فراش معدني قيدت إليه بأغلال معدنية تمنعها من الحركة تمامًا، وقد أخرستها تلك الخرقة المحشورة في فمها ، لتمنحه هو الهدوء المطلوب لقصته: لقد بدأ الأمر كله يوم اختاروني لأنضم للجيش وتركوا أخي (ويليام) ليرعى أمي المريضة.. كنت قبلها فتاتي أنا وكنت أحبك للدرجة التي دفعتني لأحارب حفاظًا عليك أنت من أي شر محتمل.. هل تذكرين؟.. هل تذكرين كيف بكيت بين ذراعيي وأنا أخبرك أنني راحل؟؟

تجاوبه (ليديا) بالدموع وأفاجأ أنا بما سمعته..

(ليديا) كانت حبيبته هو، لكن..

لكن (ويليام) استغل غيابي جيدً وبدأ يحاول أخذ مكاني في قلبك.. بدأ يحاول أن يأخذك مني وأنت الشيء الوحيد الذي أحببته في حياتي كلها.. وأنت سمحت له..

مزيد من الدموع تنهمر من عيني (ليديا)، بينما أستوعب أنا الموقف جيدًا..

إنه الإنتقام إذن.. لكن أي انتقام يصل إلى هذا الحد!

أظننتما أنني لن أعود؟.. لابد أن هذا ما حدث، لكنني عدت.. عدت لأبحث عنك حاملاً لك زهور الغابة كلها بين يدي، واستقبلتني أنت يومها باسمة لتناديني باسم أخي.. (ويليام).. هل شعرت يومها يا (ليديا) بقلبي وهو يتمزق وأنت تلقين بنفسك على صدرك وشفتاك تنطقان باسم أخي الخائن؟.. لا.. لقد نسيتني تمامًا.. كنت الوحيدة التي تستطيعين التمييز بيني وبين أخي، لكنك في هذا اليوم أخطأت، لأعرف أنا كيف يموت الحب وكيف تولد الكراهية..

الآن أرى (آرثر) وقد ذاب هدوءه، تحمل ملامحه الألم والبغض والرغبة العارمة في الإنتقام..

يومها وبعد أن تركتك عدت إلى الحرب في أسبانيا طالبًا الموت.. لم يشعر بي أحد، وحتى أمي التي كانت تحتضر لم تعرف بمجيئي ولا بذهابي.. لقد كنت أريد أن أبتعد عن خيانتك ولو ذهبت إلى آخر الدنيا..

و يبتسم في مرارة قبل أن يواصل:

- أتعرفين.. يقولون أنه في الحروب من يطلب الموت لا يناله، وأنا كنت أطلب الموت لأنسى.. في أحد الليالي هجم الأسبان علينا بعد أن حاصرونا جيدًا، ليبدأوا في إبادتنا بلا رحمة، حتى لم يعد هناك سواي.. فجأة وجدتني والموت يحيط بيمن كل صوب ولا شيء معي سوى خنجري، وبدا لي أنها النهاية، لكنني تذكرتك فجأة.. تذكرتك في صدري تنطقين اسم أخي، فاستبد بي الجنون، ولم أفق إلا ودماء الأسبان تسيل أسفل قدمي كالنهر.. قتلتهم جميعًا بخنجري وغضبي..

و صمت يتذكر هذه الليلة بمزيج من الغضب والسخرية، قبل أن يقول: - بعدها رأيته.. رأيت الكاهن الأسود..

و انفجر ضاحكًا فجأة، قبل أن يواصل:

- يقولون أنه لا يأتي إلا حين يشاء.. ويقولون أنه يولد من بين الموت والدمار، ويقولون أنه ينتقي من يظهر لهم، ولقد كنت أنا سعيد الحظ الذي انتقاه ليلتقي به، وليعلمه فنون السحر..

و بخطوات هادئة اقترب من (ليديا) لينحني عليها قائلاً: - هل رأيت الكاهن الأسود من قبل؟.. لا.. إذن دعيني أخبرك القليل عنه.. إنه الشر كما ينبغي له أن يكون.. القوة في أعتى صورها.. والسحر بلون اسمه.. إنه يعطي الكثير، لكنه يأخذ الثمن باهظًا.. دائمًا ما يأخذ الكاهن الأسود الثمن..

و شدّ قامته ليقول:

- لقد أعطاني الكاهن الأسود مفاتيح الأسرار.. بها عرفت كيف أعود من الحرب، وبها عرفت حقيقة أنك ابنة الملك وبها عرفت كيف سيكون انتقامي، لكن الثمن الذي دفعته كان فوق كل ما عرفت..

و بحركة سريعة شق ثوبه ليكشف عن صدره، لتشهق (ليديا) في رعب ولأنتفض أنا في ركن الغرفة وأنا أتبع هذا كله..

فأسفل الثوب رأيت جسد (آرثر) لأول مرة..

رأيت العظام التي امتزجت باللحم المتعفن بالدماء الجافة بالرائحة الكريهة، باللون الأسود الكئيب يصبغ هذا كله، كأنها بصمة الكاهن الأسود..

من هذا الكاهن؟.. لم أعرف حينها... لكنني يومًا ما سأعرف وسأدفع الثمن أنا أيضًا..

يومًا ما.. لكنه ليس اليوم..

و مبتسمًا في مقت أعاد (آرثر) الثوب مكانه، ليواصل: - أترين يا (ليديا) ما هو ثمن الخيانة؟.. لولاك لما حاربت، ولولاك لما عدت بإرادتي إلى الموت ولولاك لما منحت الكاهن الأسود حياتي لينتهي بي الأمر جسدًا ميتًا لا ينبض قلبه ولا يحيا سوى بدماء الآخرين.. وأنا اليوم سأحتاج لدمائك..

عند هذا الحد استغربت حقًا أن (ليديا) لم تفقد الوعي، وإن بدا عليها أنها جنت تمامًا وقد جمدت ملامحها لى نظرة ذاهلة مخيفة..

بالطبع كان يمكنني أن أنهي الأمر سريعًا وأقتلك دون أن أذهب إلى الملك بخطة طويلة معقدة، لكن الإنتقام طبق يحلو تناوله باردًا.. اليوم وقبل أن أقتلك سأخبرك أن (ويليام) يحتضر في الغابة دون أن يجد من ينقذه - وهذا ما يستحقه أخي - وأن موتك سيكون بموافقة الملك ذاته.. بموافقة أبيك..

ثم إنه جذب نفسًا عميقًا ليهديء من انفعاله، بينما أخذت أتابع أنا هذا كله عاجزًا عن التصديق..

أي انتقام هذا؟ وأي كراهية؟

إن الأحمق نسى أنه يتعامل مع فتاة مراهقة ستمنح قلبها لأول من يمنحها زهرة، فما الذي كان ينتظره منها وقد تركها ومضى إلى حرب لا يعود منها إلا أصحاب المعجزات؟

إن ما فعله حتى الآن يكفي.. لو تركها الآن ستمضي ما بقى لها من حياة، تهيم على وجهها في الطرقات كالمخابيل، لكن من الواضح أنه لن يتوقف عند هذا الحد..

- ما سيحدث الآن هو أنني سأستخلص منك دماءك وأنت حية، لأملأ بها هذا الوعاء في ركن الغرفة، لأرقد أنا داخل الوعاء.. هكذا سيتمكن جسدي من المواصلة لبضعة أشهر، بعدها سيأتي من سآخذ دماءه بذات الطريقة.. فكّري في الأمر بهذه الصورة.. دماءك هي ما سيمنحني الحياة، بعد أن منحتني خيانتك الموت.. أعتقد أن هذا عادل بما يكفي..

قالها ثم انحنى بطريقة مسرحية، قبل أن يقول:

لكن قبل أن أبدأ يجب أن أقدم ك ضيفي.. أعتقد أنك تعرفينه جيدًا..

و أشار إلى الرجل الواقف قرب الباب، ليخرج على الفور وليعد ومعه وجهًا مألوفًا..

الملك (تشارلز الأول)..

دخل مهزومًا بائسًا منكس الرأس ومزيج من المرارة والألم يطلان من عينيه، وهو يرى ابنته في هذا الوضع، والتقت عيناه بعينيها اللتين صرختا (أنقذني يا أبي)، لكنه أشاح بوجهه بعيدًا، ليستقبله (آرثر) بوجه صارم: و الآن يجب أن تقرر.. ابنتك أو العرش..

بالنسبة لي لم يكن الخيار يحتاج لتفكير.. بالطبع عليه أن ينقذ ابنته..

لكن حياة الملوك تنزع الكثير من قلوب من اعتادوها..

و حتى (تشارلز) كان يعرف أنه لو وضع في اختيار بين أن يكون (أبًا) أو (ملكًا)، فعليه أن يختار ما هو أضمن له وأهم.. ثم.. ثم إنه لن يقدر على مواجهة الهزيمة مرة أخرى..

لو خسر هذه الحرب ستكون بداية النهاية لملكه..

لن يرحمه البرلمان ولن يتركه الشعب دون حساب وهو يمتص دماءهم وأموالهم من أجل حروبه التي لا تنتهي..

نعم.. ثم إنه كملك عليه أن يسعى للنصر مهما كانت التضحيات..

المهم ألا يضحي بعرشه هو!

نعم.. سيفعلها من أجل بريطانيا العظمى.. سيدفع ثمن النصر بدماء ابنته..

و هكذا هزّ الحقير رأسه ببطء بالموافقة، فابتسم (آرثر) برضا، وقال: - يمكنك أن ترحل إذن..

- وما الذي يضمن لي أنك ستفي بوعدك؟

أخرج (آرثر) بضعة أوراق من طيات ملابسه، ألقى بها لـ (تشارلز)، قائلاً: هذه هي خطط الجيوش الفرنسية والأسبانية بمعلومات كاملة عن تسليحهم وتحركاتهم ونقاط ضعفهم.. اعتبرها بداية، فبعد أن أنتهي هنا سأقود جيوشك بنفسي نحو النصر، لكنني حينها سأحظى بما كان يحظى به (جورج فيلرز)..

تريد أن تكون دوق (باكينجهام)..

بل أريد السلطة.. السلطة المطلقة..

بهت الملك من رده ووقف مكانه يحدق فيه بمزيج من الرعب والذهول والأسى، ليصرفه (آرثر) قائلاً: و الآن.. ارحل.. فلن تحب رؤية ما سيحدث..

مرة أخرى التقت عينا (تشارلز) بعيني ابنته اللتان وارتهما الدموع، ومرة أخرى بدا الملك وكأنما ينزف الحزن في أعماقه.. لكنه في النهاية..

تركها ورحل..

و ما إن أغلق الباب من خلفه حتى استدار (آرثر) ببطء ليواجه (ليديا) مبتسمًا وهو يستل خنجره الصغير من كمه: - والآن سأحاول أن أنهي عملي سريعًا.. فقط لا تقاوميننني..

و بسرعته الخرافية حرّك ذراع، ليشقّ الخنجر الهواء بصفير حاد..

و شعرت (ليديا) بشيء دافيء يسيل من ذراعيه، وبأنبوبين معدنيين يخترقان شرايينها بلا رحمة ليبدآ في امتصاص دمائها، وبالدموع تجف في عينيها فجأة..

ثم العرق.. عرق بارد غمر جسدها فجأة لترتجف في ضعف، والحياة تتسرب منها في صمت قاس..

ثم بدأ كل شيء يظلم من حولها في بطء شديد..

يظلم ويظلم ويظلم..

و ينتهي كل شيء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و عند بحيرة () جلست أنا في النهاية والغضب يحرقني بلهيبه...

من حولي ترسل الشمس بأشعة الفجر الباردة، لتنعكس على صفحة البحيرة بألف بريق، وعلى فروع الأشجار تتثاءب الطيور مستيقظة، لتبدأ رحلتها للبحث عن الطعام، وفي المنازل المجاورة توقد الأمهات المدافيء، ليبدأن في تحضير الإفطار لأزواجهن وأطفالهن، أما أنا فأجلس هنا جواري شبح (ليديا) كما رأيته أول مرة، ينظر لي في حزن..

هكذا ماتت (ليديا)..

هكذا قتلت..

لم يكن بيدي أن أنقذها، فلست هنا لأغير الماضي أو لأتحدى القدر، لكنني هنا لشيء آخر..

أن أنتقم لها..

أنا هنا ليدفع قتلتها الثمن..

هذه مهمتي وهذا هو قدري..

و هذا ما سأفعله..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9- سأنتقم..

الآن أقرر أن أتجسد ماديًا في هذا العالم وهذا سيمنحني اثنتى عشرة ساعات فحسب، قبل أن يكون عليّ أن أغادر هذا الزمن نهائيًا..

اثنتي عشرة ساعة لأخطط لإنتقامي ولأنفذه، مع الوضع في الإعتبار أنني سأفقد حالتي الشبحية.. أي أنه لن يمكنني التسلل ولا المراقبة، وسأكون معرضًا للموت تمامًا كأي بشري يحيا في هذا الزمن..

ست ساعات لأنتقم، لكن عليّ أولاً أن أرد على سؤال هام..

إن كان جسد (آرثر) ميتً كما يزعم.. فكيف يمكنك أن تقتل شخصًا ميتًا؟!

سؤال جدير بالإهتمام وإجابته هي الطريقة الوحيدة لأنفذ مهمتي..

و لأعود إلى زمني..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكنني لن أنسى (تشارلز) فهو أيضًا يجب أن يدفع الثمن..

هو من ضحى بابنته من أجل عرشه، وهو من تركها لهذه الميتة الشنيعة التي كانت تنتظرها..

إنني أعرف الكثير عن تاريخ هذا الزمن وعن أسراراه من وسط الذكريات التي نقلها جدي لعقلي، لذا أنا أعرف إلى أين سأتجه بالضبط..

أنا الآن أسير في طرقات المدينة وقد ارتديت ملابس تلائم هذا العصر، وأشعر وكأنني كنت هنا من قبل..

ديجافو؟.. ربما.. المهم أنني أعرف طريقي جيدًا..

سأدخل في هذا الزقاق يمينًا، ومنه سأعبر إلى تلك الربوة التي تحمل على قمتها منزلاً أنيقًا تحيط به حديقة غنّاء، لأجتاز مدخل الحديقة، ومنها إلى مدخل المنزل ذاته..

أطرق الباب ثم أنتظر في صمت، لتفتحه أخيرًا خادمة مسنة، جاهدت لتنظر لوجهي متسائلة: من؟

أهذا منزل اللورد (أوليفر كروميل)؟

هو منزله.. من أنت؟

أخبريه أنني صديق يحمل له خبرًا هامًا..

هكذا سمحت لي بالدخول لأقف في ردهة المنزل منتظرًا، بينما غابت هي في أحد الغرف، لتخرج منها في النهاية ومعها رجل قوى الملامح متين البنية يطل مزيج من الوقار والذكاء من عينيه..

اتجه إلي الرجل قائلاً:

هل لي أن أعرف هوية ضيفي الكريم؟

أأنت (أوليفر كروميل)؟

أنا هو.. دورك لتعرف عن نفسك..

فأجيبه بلهجة خاصة:

لا يهم من أنا.. المهم ما أحمله لك من أنباء.. اجلس رجاءً فقد يطول حديثنا..

و ما إن جلسنا حتى بدأت في الشرح..

شرح طويل مستفيض لم أهمل فيه ولو تفصيلة صغيرة مما يحمله عقلي من تفاصيل..

و في النهاية قلت:

- لك أن تصدقني ولك ألا تفعل.. فقط تذكر أن مصير البلاد سيتوقف على قرارك..

بحيرة أجاب (كروميل):

أعدك أنني سأفكر طويلاً قبل أن أتخذ قراري..

و هو رد لا يخلو من حكمة وتحذلق.. لكنني أبتسم وأرحل..

لقد انتهت مهمتي هنا وهكذا يتبقى لي هو..

(آرثر)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنا أعرف مقر (آرثر) السري ، فلازالت جثة (ليديا) الخاوية من الدماء فيه.. ولابد أنه الآن يرقد في الوعاء الذي يحوي دماءها يمنح بعض الحياة لجسده الميت..

و مقره يحرسه سبع رجال أشداء مسلحين بالسيوف والدروع والسهام، مما سيضعني في مواجهة غير عادلة لو حاولت الدخول بالطرق التقليدية..

أي أنني أحتاج لفكرة لأدخل وأخرج آمنًا، ودون أن أقضي نحبي في هذا الزمن الكئيب..

فكرة تمكنني من تنفيذ مهمتي والعودة إلى زمني..

أحتاج لفكرة لأ.. نعم.. ربما.. وجدتها!!

دخولي إلى مقر (آرثر) لن يكون إلا عن طريقها..

(هنريتا ماريا)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الخادمة (صوفي) قد بدأت تتعافى وتستعيد عقلها، لكنها لم تنطق بحرف عمّا حدث في ذلك اليوم مع (آرثر) حتى لملكتها (هنريتا).. تلك الذكريات لا تخص سوى صاحبها ولا يفضل سوى نسيانها وهي لن تنساها بسهولة..

لذا وحين رأيتها في حديقة القصر – والتي لم يكن التسلل إليها عسيرًا – كانت صامتة شاردة يحمل وجهها نظرة من عرف أكثر من اللازم ويتمنى لو لم يعرف، لكن هذه النظرة تحولت إلى الدهشة حين ناديتها باسمها، لتقول بإستغراب: أنت تعرفني؟

نعم.. لكنني لم آت هنا من أجلك.. إنني راغب في لقاء مخدومتك..

تعاظمت الدهشة في ملامحها وهي تهتف:

من أنت؟

لا يهم من أنا.. فقط أخبريها أنني هنا من أجل ما حدث على يد (فلتون) وهي ستفهم الباقي..

و يبدو أن خبر مقتل (جروج فيلرز) على يد (فلتون) لم ينتشر بعد، فلم تفهم (صوفي) كيف عرفت أنا بهذا، لكنها قررت أنني شخص لا يستحب العبث معه، فقالت: - انتظرني وسأعود سريعًا..

و تركتني بخطوات هي أقرب إلى العدو لتغيب داخل القصر بينما ظللت أنا في مكاني مختبئًا خلف أشجار الحديقة الضخمة.. وما هي إلا دقائق حتى عادت إليّ لتقول: - اتبعني..

تبعتها واثقًا من أن جنود الملك لن يعترضوا طريق شخص يسير مع خادمة الملكة، لكنها أخذتني عبر مدخل سري في الحديقة إلى مجموعة سلالم وممرات سرية قادتنا في النهاية إلى قاعة صغيرة مضاءة بالمشاعل، تركتني فيها قائلة: انتظر هنا..

لم أرد وأنا أفكر في عقلية هؤلاء الملوك الذين يبنون في قصورهم ممرات سرية أكثر من الممرات العادية، وكأنهم ينتظرون اليوم الذي سيقتحم فيه

أحدهم القصر ليقتلهم..

حالة متطورة من جنون الإرتياب يعاني منها الملوك، ولا أحمل لها تفسيرًا وأنا أفكر في عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان ينام في ظل شجرة على قارعة الطريق آمنًا

مطمئنًا..

لكنني انتبهت في لحظة إلى طبيعة موقفي الحالي..

إنني الآن أسير هذا القصر، فأنا لم أحفظ طريق الخروج ولو أتت الملكة الآن بمن يجبرني على البوح بأسراري ليقتلني في النهاية، فلن يشعر بنا أحد..

لكن لأتظاهر بالتماسك فلا أجمل من رائحة الخوف في آذان من تخشاهم..

عبر أحد المدخل السرية أتت الملكة (هنريتا) بجمالها ووقارها وبنظرة قلق تحاول أن تخفيها في عينيها، لتسأل على الفور: من أنت؟ وما الذي تعرفه بالضبط؟

فأجيبها محاولاً طمأنتها:

أنا هنا لأساعدك وما أعرفه أكثر مما قد يستوعبه خيالك..

و ما الذي تريده بالضبط؟

مصلحة مشتركة.. لقد تخلصت من (جورج فيلرز) ولست ألومك على هذا القرار، لكنك لم تتخلصي بعد ممن كان يقود (فيلرز) كالدمية..

بدت الحيرة في عيني الملكلة، فبدأت أشرح لها ما حدث وأخذت هي تصغي لي ذاهلة، لتصيح في النهاية غير مصدقة: مستحيل!

لك أن تصدقيني ولك أن تظن بي الظنون.. المهم الآن أنك لو لم تساعديننني ستكتشفين أن أيام (فيلرز) كانت أيام السعد عليك..

قلتها فصمتت الملكة تفكر، وشعرت وكأنني أصغي لما يدور في عقلها الآن..

لو أنني محق فهذا يعني أن أيام الخراب قادمة لا محالة وهذا الخراب قد يمتد ليطول وطنها الأم فرنسا وهذا ما لن تقبله أو تتحمل حتى احتمالية حدوثه..

و لو كنت أكذب فهذا لن يضيرها في شيء.. لكن هذا سيتوقف على..

- ما الذي تحتاجه مني بالضبط؟

أجبتها بهدوء:

ما أحتاجه منك هو تساعديننني على قتل رجل ميت.. ولنفعل هذا سيكون علينا أن..

و هكذا بدأت أشرح لها خطتي دون أن تقاطعني هي ولو مرة واحدة..

و حين انتهيت هذه المرة قالت هي دون تفكير وبحسم يليق بملكة: - لك ما أردت.. لكنك تدرك جيدًا أنك قد تهلك أثناء محاولتك لتنفيذ هذه المهمة..

أعرف.. لكن لا شيء بلا ثمن في هذا الزمن..

عظيم.. ستقودك (صوفي) إلى الخارج وستجد ما أردت في الوقت المحدد..

و بهدوء استدارت لتغادر القاعة، ولتأتي لي (صوفي) قائلة بهدوء هذه المرة: - اتبعني..

و تبعتها وأنا أفكر..

أمامي ست ساعات وسيكون علي مغادرة هذا الزمن..

ست ساعات فحسب..

فهل سأتمكن من تنفيذ مهمتي؟

و هل سأنجو؟؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مع غروب الشمس وصلت أنا وفصيلة الجنود – التي وضعتهم (هنريتا) تحت تصرفي - إلى الغابة المجاورة لمقر (آرثر) السري، لنراجع الخطة التي وضعتها للمرة الأخيرة..

كنت أرتدي زيًا مماثلاً لزيهم وقد حملت مرسومًا ملكيًا عليه الختم الملكي يطلب استدعاء (آرثر) ورجاله إلى القصر ، بأمر مباشر وصريح من الملك (تشرلز)، وكنت أحمل أمنية أن يصدقنا (آرثر) ليغادر مقره بلا مقاومة..

و متماسكًا أمرت الجنود:

- هيا بنا..

لنتجه جميعًا إلى مقر (آرثر) وليستقبلنا رجاله لملثمين بالسواد، بنوع من التوتر والإرتياب، ليتجه لنا أضخمهم حجمًا، قائلاً: ما الذي تريدونه؟

أجبته أنا بعنجهية تتناسب مع كوني من جنود الملك (تشارلز): إنني أحمل مرسومًا من الملك شخصيًا يطلب فيه استدعاءكم إلى قصره فورًا..

و ناولته المرسوم، فطالعه متشككًا للحظات، قبل أن يقرر:

- انتظروا هنا..

ثم نظر إلى رجاله:

راقبوهم جيدًا..

و غاب داخل المقر لبرهة عاد بعدها ومعه (آرثر) الذي بدا عليه الإنزعاج الشديد وهو يتجه إليّ: - ألا يعرف ملكك أنني من يقرر أين نلتقي ومتى؟

فأجبته بصرامة:

إنني أنفذ أوامر الملك..

و أنا لا أنفذها.. هيا.. اذهب..

لو لم تنفذها سأضطر إلى إجبارك.. إنها أوامر الملك..

بهت (آرثر) من ردي، وبدا عليه وكأنه يقلب احتمالات المقاومة في رأسه، ثم قرر أن حقن الدماء هو الأنسب، ليقول في النهاية بغضب: لن تعرف أي خطأ اقترفت إلا متأخرًا.. متأخرًا جدًا..

لكنني أجبته ببرود:

اجمع رجالك كلهم فسيأتون معنا..

سأترك من يحرس المقر في غيابنا..

أنا سأحرسه.. أوامر الملك..

لكلمة (أوامر الملك) طابع استفزازي محبب، لكنني أراهن على أن (آرثر) لن يرتكب أي حماقة الآن..

إنه الفضول يقتله الآن ليعرف سر استدعاء الملك المفاجيء هذا، لذا سيكبت في أعماقه تلك الرغبة العارمة بأن يطيح برؤوسنا كلنا، ليستحم بدمائنا..

لذا جمع (آرثر) رجاله في النهاية ليتقدموه وهو يتجه بهم إلى فصيلة جنود الملك، ليتوقف أمامي بالضبط وليقول وأنفاسه تلفح وجهي: لو لمست ذرة غبار في المقر سأمزقك.. ببطء شديد..

قالها ثم تحرك يحيط به رجاله يحيط بهم جنود الملك، ليتحركوا بسرعة نسبية مبتعدين عن المكان، بينما ظللت أنا عند مدخل المقر السري أنتظر غيابهم في الأفق لأدخل..

دقائق وابتلعهم ظلام الغابة، فهمست لنفسي:

و الآن أتحرك أنا..

و بسرعة دخلت إلى المقر لأعبر الممرات الحجرية المضاءة بالمشاعل إلى قاعة (آرثر) الخاصة حيث شهدت مقتل (ليديا) التي لم أجد جثتها في الداخل..

حتى الوعاء الضخم الذي جمع فيه دمها لم يكن هناك، لكني لم أهتم فالوقت لا يسمح برفاهية الإستغراب والتعجب..

بسرعة أخرجت كيس البارود الضخم من سترتي، لأبدأ في توزيعه في أركان المقر التي يخفيها الظلال، وفي حفر صغير صنعتها في الجدران بتوزيع مدروس ثم وفي كل مكان مغلق أو ذو غطاء، وأخيرًا عند إطار النافذة الوحيدة في المكان..

الآن كل ما أحتاجه هو سهم ناري واحد لتبدأ الألعاب النارية!

انتهيت بسرعة لا بأس بها لكنني شعرت بالإنهاك وبالعرق يغطيني، حين سمعت باب المقر وهو يفتح في عنف كأنما ضربته صاعقة، وبصوت خطوات ثقيلة تتجه في سرعة تجاهي..

غريزيًا اتجهت إلى صندوق ضم في ركن القاعة لأختبيء خلفه، في اللحظة التي دخل (آرثر) فيها إلى الغرفة..

الدماء تغطي ملابسه والجنون يلتمع في عينيه، وقد قبضت يداه على خنجرين صغيرين، بدا عليهما أنهما خاضا معركة قريبة.. معركة انتصر فيها (آرثر) على فصيلة الجنود كلها بينما هلك رجاله عن آخرهم..

ما الذي حدث؟.. لقد فهم.. لابد أنه شعر بشيء ما أو انتبه إلى خطأ ما فيما، المهم أنه فهم وأدرك طبيعة موقفه فجأة..

المهم أن صاح في رجاله أنها خدعة، ليستل كل ذي صاحب سلاح سلاحه، وليستل هو خنجريه ولتعود إليه ذكريات الحرب..

و المهم أنه حين انتهت المعركة كان الوحيد الذي ظل واقفًا.. لا تهم الإصابات في الجسد الميت بل تهم النتيجة.. والنتيجة أنه انتصر..

حتى ولو فقد كل رجاله، لقد انتصر..

لكن لا.. انتصاره لن يكتمل إلا لو ظفر بعنقي وهو يعرف أين سيجدني..

و هاهو الموقف الآن مثير للسخرية.. أنا مختبئًا خلف الصندوق الضخم، بينما هو يقف في منتصفها تقطر من خنجريه وملابسه الدماء، ويتدفق الغضب من عينيه ومن رعشة جسده..

و بصوت لم يحمل ذرة من هدوءه الأثير صرخ:

- أنا أعرف أنك هنا..

و هي معلومة لا تحتاج لقدرته على التنبؤ.. إن المواجهة التي ستحدث الآن نتيجتها محسومة لصالحه..

أي فرصة أمتلكها أنا أمام رجل كهذا؟!

اخرج لو كنت رجلاً..

و هي جملة قد يلقي أي عربي نفسه بسببها في قفص الأسود أعزلاً، لذا أجذب نفسًا عميقًا لأحاول السيطرة على انفعالاتي.. ثم أخرج من مخبأي وأنا أستل سيفي ببطء..

و بهدوء قلت:

- أنا هنا أيها الوغد..

التفت لي على الفور والغضب يطل من عينيه وكاد يهجم، لكنه ابتسم فجأة وقد انتبه إلى شيء ما ليقول ساخرًا: إنه أنت إذن...

ما الذي يقصده؟.. المفترض أنه لا يعرفني ولم يرني من قبل و..

لقد كنت أعرف أنك قادم، لكني لم أتوقع أن تكون بهذه السذاجة..

ثم إنه أعاد خنجريه إلى ملابسه، مواصلاً:

الكاهن الأسود أخبرني أنك ستأتي من أجلي..

لم أقاوم أن أهتف في دهشة:

من هو الكاهن الأسود هذا؟!

إنه من تنبأ لي بموتك على يدي.. إنه من منحني شرف إنهاء حياتك..

إنه أحمق إذن..

أهذا ما تعتقده حقًا؟

الواقع أنني كنت أشعر بمزيج عجيب من الحيرة والخوف وأنا أتساءل في أعماقي السؤال الذي لن أعرف إجابته طويلاً..

من هو الكاهن الأسود هذا؟

من هو؟؟

لقد حدثني الكاهن الأسود عنك طويلاً.. عن حياتك البائسة التي تقضيها وحيدًا.. عن رحلاتك الحمقاء عبر الزمن للبحث عن العدالة التي لم تتحقق..

عن الأموات الذين تقضي معهم وقتًا أكثر مما تقضيه مع الأحياء.. دعني أتذكر.. نعم.. اسمك هو (نادر).. أليس كذلك؟!

أحاول أن أمنع من الجنون ذاهلاً بمشقة، بينما (آرثر) يقترب مني ببساطة وابتسامته تملأ وجهه: ألم تتساءل عن نهاية هذا كله؟.. عن جدوى الإنتقام لمن لم يعودوا في حاجة إليه؟.. عن تلك الحياة التي لم تخترها وعن قدرتك التي لن تجد من تنقلها لك ليواصل حماقاتك من بعدك؟

أنا أعرف ما يحاول فعله.. يجب أن أركز جيدًا..

ألم تتساءل عن عمرك الذي يضيع بين الأزمنة؟

سيقترب مني إلى الحد الكافي ثم..

ألم تفكر أنك ربما تكون مخطئًا؟ ربما كان ما تراه أنت عادلاً هو الواقع الظلم بعينه؟

ثم وبسرعته الخرافية استل (آرثر) خنجريه وطوح بذراعيه، لأهوي أنا بسيفي في ذات اللحظة على عنقه..

و دون أن أفهم كيف، شعرت بجسدي يطير ليرتطم بالجدار خلفي، قبل أن أسقط على الأرض عاجزًا عن التنفس والدماء تسيل من يدي التي كانت تقبض على سيف، بينما ضحكة (آرثر) تدوي في المكان لترتعش لها النيران في المشاعل!

- يا لك من أحمق.. أتظن أنك قادر على مواجهتي؟

قالها فبدأت جراح صدري وذراعيي في النزف، وبدأت أشعر بالألم على الرغم من ذهولي..

أخبرتك أن نهايتك ستكون على يدي.. الكاهن الأسود لا يخطئ أبدًا..

هببت أنا في سرعة غاضبًا لأهتف:

أنت وكاهنك الأحمق ستذهبان إلى الجحيم..

و بسرعة انتزعت المشعل المعلق قرب رأسي، لألقيه على كومة بارود قرب (آرثر)، ليدوي انفجار محدود، أطار بجسده إلى ركن القاعة، بينما التقت أنا سيفي لأقفز عليه، والنيران تنتشر من حولي في سرعة.. لحظات وسيبدأ حفل النيران..

و قبل أن يجد (آرثر) فرصة للحركة، كنت قد غرست سيفي في صدره، لينفذ من ظهره وليخترق الأرضية الخشبية أسفله..

و بمقت لا حد له، قلت:

- الآن لنر إن كان كاهنك الأحمق قادر على إنقاذك..

و بينما جاهد (آرثر) لينتزع السيف - الذي ثبته في الأرض - من صدره، كنت أنا أسرع خارجًا بينما النيران تنتشر في المكان بسرعة هائلة لتبدأ الإنفجارات من خلفي..

أجري خارجًا من المقر، والنيران تلفحني بحرارتها ودوي الإنفجارات يتلاحق في سرعة، ثم.. ثم..

ثم فجأة يدوي انفجار هائل رهيب يطير له جسدي، قبل أن أهوي على الأرض في عنف..

و للحظات لم أشعر بشيء، ثم استعدت حواسي فجأة، لأهب واقفًا في صعوبة، وقد ارتفعت النيران من حظام مقر (آرثر) بصورة غير طبيعية بالمرة.. نيران تتصاعد لعشرات الأمتار في السماء وكأنها فوهة بركان ثائر..

ما الذي كان يحويه هذا المقر بالضبط؟!

لكن المهم أنني أنهيت مهمتي.. من المستحيل أن ينجو (آرثر) من انفجار كهذا ولو كان شبحًا!

أقترب ببطء من المقر الذي ستحيله النيران إلى رماد وأبدأ في الإسترخاء..

الآن يمكنني أن أعود إلى زمني، والآن ستتمكن (ليديا) من مغادرة عالمنا بلا رجعة..

الآن سوف..

لكن جسد ما ينتصب واقفًا فجأة وسط اللهيب، لتتجمد أفكاري كلها هلعًا..

و لسبب ما شعرت بصقيع!!

أمام هذا الأتون الملتهب أشعر وكأنني مدفون في الثلوج!!!

أمّا هذا الذي وقف وسط النيران فمد يده تجاهي، وخرج صوته عميقًا مهيبًا يقول: - نهايتك اقتربت..

يستوعب عقلي المعلومة ببطء.. إنه.. إنه..

إنه الكاهن الأسود..

نهايتك باتت أقرب مما تتصور..

يقولها ثم يبتلعه اللهيب فجأة كأنه لم يكن.. وبذات البساطة يتلاشى الصقيع من حولي..

إنه الكاهن الأسود..

لكنه وقت الرحيل..

أشعر بشيء ما ورائي فأنظر لأجد شبح (ليديا) ينظر لي.. ويبتسم..

أبادلها الإبتسام، ثم نبدأ في التلاشي سويًا.. تغادر هي عالمنا..

و أعود أنا إلى زمني..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10 – النهاية..

تجسدت في غرفتي على مقعدي الضخم وجسدي لا يزال ينزف من جراحه..

بصعوبة أجبرت نفسي على الوقوف، ثم جررت نفسي خارجًا من الغرفة والإنهاك يكاد يفقدني وعيي.. لكنني احتملت..

لا أعرف ما هو الوقت الآن ولا يهمني أن أعرف، ففي هذا الزمن لا يهمني سوى أن أبقى وحيدًا..

طهرت جروحي وضمدتها جيدًا، ثم ارتديت منامتي لألقي بجسدي المكدود على الفراش، ولأبدأ في التفكير..

لو كنت تتساءل عن الملك (تشارلز) فكتب التاريخ ستحمل لك اجابة سؤالك..

ما حدث أفقده عقله ودفعه للمضي في هوس (سلطة الملوك المطلقة)، ليخسر حروبه مع فرنسا وأسبانيا وليشعل الحرب الأهلية في بلاده.. تلك الحرب التي برز فيها فارس لم يكن يجيد من فنون الحرب شيء، لكنه استطاع أن يوحّد الجيش تحت سلطته، وأن ينشأ كتيبة الفرسان التي واجهت جنون (تشارلز) وأطاحت به، ليهرب هذا الأخير عبر البلاد، قبل أن يسجن ويعدم في النهاية بتهمة الخيانة العظمى..

هذا الفارس الذي انتصر عليه كان يردد أن زائرًا أقنعه أن مصير البلاد يتوقف عليه، وأنه خشى من المسئولية في باديء الأمر، لكنه قرر أن يتحمل عبئها لينتصر في النهاية..

هذا الفارس كان اسمه (أوليفر كرومويل)..

مهمة أخرى نفذتها بنجاح لكنها أول مرة ألتقي بهذا (الكاهن الأسود) الذي لا يثير الآن في أعماقي سوى التساؤلات..

من هو؟

من أين أتى؟

و ما الذي يريده بالضبط؟!

لا أعرف الآن ردًا لهذا كله، لكني واثق أننا سنلتقي ثانيةً.. إن المواجهة التي حدثت بيننا لا تعني سوى البداية..

بداية الحرب!

على أية حال كل هذا من الممكن أن ينتظر لما بعد، فأنا الآن أستحق أن أظفر بالنوم بعد ثلاث أيام حرمت فيها منه.. لكنني أشعر بالعطش الشديد..

أجاهد لأغادر الفراش، ثم أتحسس طريقي إلى الثلاجة، لألقي بكل ما تحويه من ماء بارد في جوفي، ثم أبدأ في تحسس طريقي عائدًا..

لماذا أتحسس؟

لأنني أعمى!.. ألم أخبرك بهذا؟

لقد أخبرتك أنه يوم نقل لي جدي قدراته دفعت ثمنها باهظًا، والثمن كان قدرتي على الإبصار في هذا الزمن، معي أنني أستعيد بصري لو انتقلت إلى أي زمن آخر..

في هذا الزمن أنا لا أرى سوى الموتى..

لكل شيء ثمنه وأنا لم أختر قدري ولا ثمنه.. فقط أعرف أن عليّ المواصلة..

فقط أعرف أنني سأقضي حياتي أحقق العدالة لمن لم يحصلوا عليها..

سأقضي حياتي عبر التاريخ..

و عبر الزمن..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حكايات بيتر بيشوب

(1)

هكذا تمضي حياتي.. ليست كحياتك أو كحياة أي شخص تعرفه..

من أعرفهم من الموتى أكثر بكثير ممن عرفتهم أحياء، وهي مزية لم أطلبها ولا يمكنني أن أهرب منها.. فقط أضف على هذا أنني لا أرى..

أعمى كخفاش.. فقط أستعيد بصيرتي حين أكون هناك..

في أي زمن آخر غير زمني..

هكذا تمضي حياتي.. بين الأزمنة وفي رفقة الموتى وهو شيء اعتدته ولم يعد لي سواه..

لا تعرف أختي (سوسن) شيء عن حياتي هذه.. هي فقط تراني أحمقًا يرفض الزواج للمرة الثانية، لا لإن الزواج في حالتي يعني الإستقرار، بل لأنه يعني وجود شخص يعني بأعمى مثلي..

إنها لا تبحث لي عن زوجة، بل عن خادمة وهذا ما أرفضه..

ثم أنني تزوجت من قبل، ولم تسفر هذه الزيجة إلا عن طلاق سريع خسرت فيه الكثير.. أكثر مما أردت بكثير، لكن لهذا قصة لن نضيع فيها وقتنا الآن..

الواقع أنني لم أستوعب بعد من مغامرتي السابقة.. من هو هذا الكاهن الأسود؟

من أين أتى؟ ولماذا؟

و الأهم من هذا كله.. ما الذي يريده مني؟!

يقول أن نهايتي اقتربت وهذا ما لا أخشاه، فمن لديه حياة ليخسرها سيخشى الموت، أمّا أنا..

فأسوأ ما قد يصيبني أن أتحول إلى واحد ممن أراهم طيلة الوقت.. ثم من يدري؟.. ربما واجهته مرة أخرى لأفهم أكثر..

و لأن الحياة لا تظل على الحال.. وكل فترة هدوء نسبي تعني أن عاصفة في الطريق، وفي حالتي أنا مجرد أن أرى يعني أن أمامي مهمة ما، فأنا لا أرى سواهم..

الموتى..

هذه المرة كنت أرقد على فراشي في منزلي، أصغي إلى الموسيقى الكلاسيكية التي لا تساعدك إلا على النوم، حين رأيته يدخل من باب غرفتي

بخطوات ثابتة وبنظرة أشد ثباتًا..

كان مذبوحًا.. أحدهم ذبحه بإحترافية.. أحدهم ذبحه بحيث مزق شرايينه وأوردته وقصبته الهوائية، وربما أصاب فقراته العنقية، التي لولا أنها ظلت مكانها، لانفصلت رأسه عن جسده..

كان قميصه أسودًا وهذا يعني أنه كان ذو لون آخر، لكن الدماء التي جفت عليه هي ما منحته هذا اللون الكئيب، أما عينيه فكانتا تنظران في عيني، كأنهما تنقلان رسالة واضحة مختصرة..

انتقم لي..

الواقع أنني لم أحب التأثير الدرامي، لدخوله مع الموسيقى الكلاسيكية، فقمت من مكاني لأغلقها، ثم تحسست طريقي إلى غرفة الإنتقال..

في الداخل ينتظرني المقعد.. أسفله رسمت النقوش وأمامه ترقد المرآة الضخمة، وخلايا عقلي تردد الرموز كأنما تذكرني بها..

صحيح أنني أشعر ببعض الإرهاق، لكني أعرف أن التأخير ليس خيارًا..

حين تأتي المهمة فأنت تستقبلها لتنفذها على الفور، تمامًا كما لو كنت تعمل مع المخابرات.. فقط لا جواسيس ها هنا..

هذا الرجل المذبوح لا يصلح كجاسوس.. على الأقل ليس بصلعته اللامعة المثيرة للإنتباه، وتلك الندبة القديمة في خده الأيسر.. ثم إن جسده الضخم يشي بأنه يهوي الشجار كثيرًا..

الجسد الذي تنتفخ عضلات ساعديه وصدره دون أن تتناسق هذه العضلات مع باقي عضلات الجسد، تعلن أنها لم تأت من المران، بل من العراك الطويل المستمر على مرّ سنوات طوال..

عضلات تجبرك على التساؤل كيف تمكن أحدهم من ذبحه بهذه الصورة؟

إن الإقتراب منه – مجرد الإقتراب – مخاطرة غير مأمونة العواقب، فمن فعلها؟.. ولماذا؟

الآن سأعرف..

ألقي بجسدي المكدود على المقعد.. أترك رأسي يتدلى بين كتفي.. ثم أبدأ في ترديد الرموز..

الإنتقال سيتم خلال لحظـ...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(2)

بريطانيا مرة أخرى.. لم يحدث لي من قبل أن أنتقل إلى ذات المكان مرتين متتاليتين..

لكنني في زمن مختلف على الأقل، وهذا يعني أنه لا توجد قصور وملكات ومؤامرات.. ولنأمل أيضًا أنه لا يوجد كاهن أسود يعلن أن نهايتي قد اقتربت..

إنها بريطانيا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.. لندن المسكينة التي دكتها طائرات (هتلر)، حتى أحالتها إلى حطام يحاول أن يستجمع شظاياه..

حتى هذا الملجأ الذي أقف أمامه لم يسلم من قصف الطائرات، فسوره الأيمن مهشم، وآثار الحريق الذي شبّ فيه لا يزال واضحًا على واجهة المبنى الرئيسي.. والله وحده يعلم كم من الأطفال هلكوا فيه أثناء الحرب..

إنه واحد من الملاجئ الذي جمع فيه الأطفال الذين فقدوا ذويهم في الحرب، وهم في الداخل يتعلمون أن ينسوا وأن يبدأوا من جديد.. القصف الألماني أدى إلى وفاة أكثر من ثلاثين ألف لندني، وهذا يمنحك فكرة عن كم الأطفال في الداخل..

إنه عام ١٩٤٨ وفي هذا الملجأ الذي نجت واجهته بمعجزة ما أقرأ (ملجأ القلب المقدس)..

و فيه ستبدأ مهمتي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان أول ما فعلته هو أنني تتبعت الصراخ إلى الداخل، لينتهي بي الأمر في البهو الرئيسي، حيث أخذت مسز (بارتريدج) تفرغ ثورتها في ذلك الرجل الذي وقف أمامها مستكينًا دون أن يرد عليها بحرف..

و كانت مسز (بارتريدج) تردد بلا إنقطاع:

- إياك أن تكررها.. هل تفهم.. إياك.. إنني لن أسمح بهذا مرة أخرى في هذا الملجأ..

بينها وبين الرجل استقر صندوق متوسط الحجم اكتظ بالملابس والدمي والحلوى، وأخذت مسز (بارتريدج) تشير إليه صارخة:

لا أريد هذه الأشياء في ملجأي.. تخلص منها.. أحرقها.. الآن..

و من طرف القاعة اقتربت سيدة شابة رقيقة الملامح، على نحو أظهر كم بدت مسز (بارترديج) شريرة بشعرها الرمادي المعقوص وتلك النظارة

الضخمة على أنفها، لتقول بصوت خفيض كأنما تخشى أن يسمعها أحد:

- إنك تصرخين فيه وهو لا يسمعك و..

- اخرسي يا (ميراندا).. إنه خطأك ودورك لم يأت بعد..

- لكنه لا يفهم حرفًا مما تقولينه و..

- قلت لك اخرسي..

هكذا ابتلعت (ميراندا) لسانها في خوف، وأخذت ترمق الرجل الذي ظلّ على وقفته حتى انتهت مسز (بارتريدج) من ثورتها، لتقول في النهاية:

الآن.. (جوزيف).. خذ الصندوق وتحرك..

ثم إنها تذكرت أن الرجل أمامها أبكم وأصم، لتشير إلى الصندوق بحركة حادة، قبل أن تشير إلى باب البهو، في إشارة بليغة تتغلب على قواعد اللغة الإنجليزية كلها، ليحمل (جوزيف) الصندوق بساعديه المفتولين ، وليبتعد به دون أن ينطق بحرف..

لا داعي لوصف الرجل، فلقد رأيته معي منذ قليل.. لكنه لم يكن مذبوحًا هذه المرة!

العجيب أن مسز (بارتريدج) لم يبد عليها أنها تخشاه على الإطلاق، بل أخذت ترمقه بازدراء واضح حتى ابتعد، لتلفت إلى (ميراندا) بطريقة كادت معها هذه الأخيرة، أن تسقط فاقدة الوعي..

أمّا أنت.. اتبعيني..

قالتها ثم اتجهت إلى أحد الغرف من خلفها (ميراندا) وأنا مدفوعًا بفضولي، لندخل إلى غرفة مكتب أنيقة، وقفت فيها ثلاث فتيات لا يزيد عمر الواحدة فيهن عن عشرة أعوام، بدا عليهن الرعب، حين دخلت مسز (بارتريدج)، لتستقر خلف مكتبها، ولتبدأ في تسديد نظراتها النارية لهن ولـ (ميراندا)، التي قالت:

لن يتكرر هذا ثانية.. أقسم لك..

لا داع للقسم، فهذه المرة سأعمل أنا على ألا يتكرر هذا..

ثم إنها وجهت نظراتها للفتيات الثلاث، لتصرخ:

آخر فرصة.. من أحضر لكم هذه الهدايا؟

فتبادلت الفتيات نظرة صامتة، قبل أن تقول إحداهن:

(بيتر بيشوب)..

هرررراااءء..

فقالت الفتاة الثانية:

لكن هذا ما حدث.. لقد زارنا ليلة أمس ومعه هذه الأشياء..

هنا التقطت مسز (بارتريدج) تمثالاً من على سطح مكتبها، وقذفته في وجه الفتاة التي لم تجد الوقت الكافي للإنحناء، لتجد أن أنفها قد التصق بوجنتيها، لتتفجر منه الدماء!

و على الفور بدأ مزيج من صراخ الألم وصرخات الهستريا من الفتاتين، لتصيح (ميراندا) لأول مرة:

- كيف تجرؤين؟.. إنها لم تكذب..

ثم إنها أدركت أنها صرخت في وجه مسز (بارتريدج) شخصيًا، لتتراجع إلى الخلف منتظرة أن يهشم تمثال آخر أنفها، بينما سقطت الفتاة على الأرض منهارة تنزف بغزارة، ورفيقتيها يحاولان وقف الدماء بأي شيء..

أنا؟.. أنا لم يكن لي أن أتدخل لحسن حظ (بارتريدج) اللعينة، لذا أخذت أتابع ما حدث بعد هذا منتظرًا اللحظة التي سأتجسد فيها ماديًا في هذا العالم..

لن تجد مسز (بارتريدج) ما تضع عليها نظارتها بعد ذلك!

لو سمعت اسم (بيتر بيشوب) مرة أخرى في هذا الملجأ، سأبدأ في.. في..

و ترددت للحظة لتبحث عن العقاب الأمثل، قبل أن تبتسم في ظفر أخيرًا لتقول:

- نعم.. اليوم لن يكون هناك غداء في الملجأ.. وسأعمل على أن يعرف الجميع أن هذا حدث بسببكم.. لنر كيف ستحافظن على حياتكن وسط ملجأ يعج بالأطفال الجوعى..

و باحتقار أشارت لهن أن ينصرفن، فساعدت (ميراندا) والفتاتان الفتاة المصابة على الخروج، وماهي إلا لحظات حتى كان المكتب خاويًا إلا مني ومن مسز (بارتريدج)...

و عبر النافذة رأيت (جوزيف) يشعل النار في الصندوق، لتتصاعد الأدخنة السوداء إلى سماء لندن الحزينة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دعني أصحبك في جولة في هذا الملجأ، فمن المهم أن تتعرف على المكان الذي تدور فيه الأحداث.. هذا سيساعدك على التخيل، لكنه لن يساعدك على تصديق الهول الذي سيحدث فيه بعد قليل..

يتكون المبنى من ثلاث طوابق.. الطابق الأول حيث صالة الطعام وغرفة المديرة مسز (بارتريدج) وغرفة المشرفين وطبيبة الملجأ العجوز (مارثا)..

الطابق الثاني حيث ينام الصبيان وفيه أسرتهم ودورات مياه خاصة بهم، ولا توجد فيه نافذة واحدة سليمة، لدرجة أنه من المستحيل أن تعرف أي نافذة حطمها الحرب وأي حطمها الشغب..

في الحالتين صبيان الملجأ يعانون البرد أيام الشتاء، ولا تبدو أسرتهم الضيقة القذرة أنها تمنحهم الدفء الذي يحتاجونه.. لكنها تمنحهم سقفًا ينامون تحته على الأقل..

الطابق الثالث للفتيات، وهو – على الأقل – أقل قذارة من الطابق الثاني، لكن علامات الإهمال في كل مكان.. نعم.. إنها يحاولون الحفاظ على واجهتهم البريطانية العتيدة التي تمزج بين الرقي والأناقة ها هنا، لكن الإمكانات محدودة كما هو واضح..

إنهم محظوظون لأن القصف الألماني ترك لهم المبنى ذاته، فمن الذي سيجرؤ ليطالب بالسجاجيد واللوحات على الجدران، أو مفارش نظيفة أو حتى إضاءة في كل غرفة؟!

المشرفين هنا أربع.. (ميراندا) البائسة التي لا تجرؤ على شيء و(ايمانويل) بذلك النمش الذي يغطي وجهها، وبلامبالتها التامة لكل ما يحدث حولها.. وللصبيان يوجد مستر (شميدت) العجوز الذي يبدو أنه فقد حاسة السمع بعد أن انفجرت قنبلة على قيد بضعة أمتار منه، ومستر (كونتز) الشاب المفعم بالطاقة، والذي تعتبره مسز (بارتريدج) خطرًا يجب التخلص منه في أقرب فرصة.. لماذا؟

لأنه وسيم!.. هكذا ستحلم به كل فتاة في الملجأ، وستنتظر اليوم الذي يخلصها فيه من عذابها ليهربا سويًا، وهذا ما لن يحــدث، فـ (كونتز) لا يميل للمسئولية بأي صورة من صورها.. إنه هنا لأنها فرصة طيبة لينفذ دورًا قياديًا، لن يمنحه له أي مكان آخر، ويكفيه أن أكثر من ثلاثمائة صبي، يأكلون ويشربون وينامون ويتدربون بل ويحلمون، بناء على أوامره..

يظل لنا التوأم (بيرك) و(مارك).. طباخا الملجأ المرحان طيلة الوقت، واللذان لا يتوقفا عن الغناء أثناء الطهي رغم اعتراض مسز (بارتريدج)... ربما هما يغنيان ليثيرا أعصاب مسز (بارتريدج)...

الآن أنت تعرف أهم الأشخاص الموجودين في الملجأ، والآن أنت مستعد لتعرف ما الذي سيحدث لهم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

لنذهب الآن إلى غرفة الفتيات الثلاث.. اسمهن (جين) و(سارة) والفتاة التي لم يعد لها أنف اسمها (لوريل)..

كانت (لوريل) لا تزال تبكي بحرقة، وإن توقف أنفها عن النزف، بعد أن غطته ضمادة ضخمة مضحكة، صنعتها لها (مارثا) الطبيبة العجوز، التي ما إن رأت إصابتها حتى هزت رأسها بأسف دون أن تجرؤ على التعليق.. لا أحد هنا يعترض على تصرفات مسز (بارتريدج)..

و كانت (جين) تردد:

- لن يمر هذا دون رد..

لتقول (سارة):

كفانا ما حدث لنا حتى الآن.. لننس الأمر و..

لا.. يجب أن تدفع (بارتريدج) الشمطاء الثمن..

كيف؟

سأطلب منه أن ينتقم.. سأطلب من (بيتر بيشوب) الإنتقام.. الليلة سأفعل..

اتسعت عينا (سارة) و(لوريل) هلعًا، وقالت الأولى: أنت تعرفين ما سيطلبه منك في المقابل..

فأجابتها (جين) بتصميم:

أعرف.. وإنني مستعدة.. المهم ألا تمر هذه الليلة دون أن تدفع (بارتريدج) الثمن..

كانت الساعة حينها الثانية ظهرًا، وحين جاءت الساعة الرابعة عصرًا، تجمع أطفال الملجأ في صالة الطعام، ليجدون الموائد الخالية في انتظارهم، وغناء التوأمين (بيرك) و(مارك) يتردد في المكان.. أين الطعام؟.. لا طعام!

هكذا تبدأ الحيرة.. ثم تتحول إلى تساؤلات واضحة، ثم ينسى الأطفال خوفهم من مسز (بارتريدج) ويبدأون في الصراخ معترضين، لتأتي هي لهم، قائلة: (جين) و(لوريل) و(سارة) سيتكفلن بالغداء اليوم.. صديقهم (بيتر بيشوب) سيحضر لكم الغداء، وإن لم يفعل..

و تبتسم بتوحش، قبل أن تردف:

- فغداءكم سيتكون من (جين) و(لوريل) و(سارة)..

و هذه المرة لا مجال للحيرة فالتساؤل.. فقط الغضب..

مئات الحناجر الطفولية تصرخ تطالب بالطعام، لتخرسهم (بارتريدج) قائلة: الصمت وإلا لن يكون هناك عشاء أيضًا..

هكذا يعود الصمت في لحظة، وهكذا تسمع التوأمين (مارك) و(بيرك) ينشدان: و لإن منزلي بعيد بعيد.. سيكون سفري طويلاً طوييييييل..

اخرسا..

ليطبق صمت القبور على المكان، قبل أن تخرج منه مسز (بارتريدج) بخطوات واثقة..

لكنها قبل أن تخرج تصيح:

أريد غدائي على مكتبي حالاً..

ليلعنها كل طفل في المكان في سره..

لن يكون هناك غداء اليوم، ولو جرؤ أحدهم على الإعتراض لن يكون هناك عشاء، وربما أظلمت مسز (بارتريدج) المكان أيضًا.. والأطفال يخشون الظلام في كل مكان وزمان..

تلتفت الأعين إلى التوأمين في رجاء، فيواصلان غناءهما دون أن يردا على أحد.. وفي أحد الأركان يردد طفل صغير ذو نظارة: (بيتر بيشوب) سينتقم لنا..

و يرددها من خلفه الأطفال جميعًا..

الهمسات تتردد في المكان حتى تبلغ مسز (بارتريدح) في مكتبها، فتضحك ساخرة، قبل أن تقول للمشرفين الذين تجمعوا في مكتبها يسألون عن وجبتهم: هؤلاء الحمقى.. ينتظرون أن ينتقم لهم (بيتر بيشوب)..

ثم إنها تخرج ملفًا من أحد أدراج مكتبها، لتلقي به على سطحه، مردفة: كأنهم نسوا أن (بيتر بيشوب) مات منذ عامين..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في هذا الوقت كان (جوزيف) يمارس نشاطًا عجيبًا حقًا..

كنت قد قررت أن أتابعه بما أنه الضحية القادمة، كما أنني سأموت غيظًا لو ظللت مع مسز (بارتريدج) أكثر من هذا.. هكذا خرجت من جدران الملجأ إلى ذلك المبنى الصغير قرب بوابة الملجأ الخارجية، والمكوّن من غرفة ودورة مياه، حيث يعيش (جوزيف) وحيدًا..

و هناك وجدته يقرأ!!

لا تسألني كيف تعلم القراءة وهو أصم أبكم، لكن الأهم هو محتوى تلك الرسالة التي كان يقرأها، وهو جالس على فراشه، وعلى وجهه ذات التعبير الجامد الذي رأيته عليه أول مرة..

كانت الرسالة تقول:

" الليلة عند الجسر.. الساعة الحادية عشرة بالضبط.. لا أسلحة.. لا تنس قناعك "

قناعك؟!!

سامحني.. لكن فكرة أن يتحول (جوزيف) في الليلة إلى بطل مقنع، أسخف بكثير من أن أصدقها.. ثم إن (جوزيف) طوى الرسالة، وأخفاها أسفل حشية الفراش، قبل أن يتمدد عليه لينام في لحظة...

الآن سينام وفي الحادية عشرة مساء سيتحول إلى سوبر (جوزيف) الذي يحارب الجريمة!!

لكن لا بأس.. إلى أن تأتي الساعة الحادية عشرة، يمكنني أن أتجول أكثر في المكان، أتعرف على ما يحدث فيه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نسيت أن أخبركما أن التوأمين (بيرك) و(مارك) يملكان أسوأ صوتين يمكنك أن تسمعهما في حياتك.. أعتقد أن الفائدة الوحيدة لغنائهما، هي طرد الحشرات من المطبخ الذي يقضيان فيه أغلب اليوم..

كانا يقطعان قوالب الجبن إلى قطع صغيرة، ليوزعانها في أطباق شبه نظيفة، ثم انضمت إلى كل قطة جبن، بيضة وقطعة من الخبز وبضع حبات من العنب.. هذه هي وجبة العشاء، وإن لم تعجبك، فيمكنك أن تطلب أخرى من (بيتر بيشوب)..

لحسن حظي كانا التوأمين ثرثارين.. فالثرثرة كانت بديلاً لا بأس به للغناء.. ومن ثرثرتهما عرفت التالي: الأطفال المساكين.. لم يحصلوا على غداء، وهذا العشاء البائس لن يكفيهم على الإطلاق..

يمكنك أن تذهب وتشتكي لمسز (بارتريدج).. أنت تعرف قلبها الحنون.. ستأمر بمضاعفة الوجبة على الفور، وربما أضافت لها اللحم كذلك.. فقط لا تخبرها أنك أنا..

إنني لا أمزح.. ثم إنهم يعاقبون على شيء لا ذنب لهم فيه..

تقصد شبح (بيتر بيشوب)؟.. إنني لا أصدق هذه السخافات..

حقًا.. أنسيت ما حدث منذ شهرين؟

ما الذي حدث؟

الليلة التي جئنا فيها هنا لنجد كل الأوعية مليئة بالدماء.. أنسيت أم أنك تحاول النسيان؟ لقد كانت دماءً يا (مارك).. دماء..

فصمت (مارك) للحظة بدا الإمتعاض فيها على وجهه، قبل أن يقول: لم أنس.. لقد كانت مداعبة سخيفة من أحد الصبية هنا.. لا أكثر..

فصاح (بيرك):

تفسيرك غير منطقي.. من أين سيأتي كل صبية الملجأ بكل هذه الكمية من الدماء؟.. الأمر لا يحتـ..

الأمر اتفقنا على ألا نتناقش فيه أبدًا.. لو عرفت مسز (بارترديج) به سنطرد على الفور.. ثم كف عن الثرثرة، فأمامنا عشاء ينتظر أن نوزعه على الموائد.. هيا.. أسرع..

هكذا ابتلع (بيرك) لسانه وعاد إلى العمل، قبل أن يدندن (مارك): و لأن منزلي بعيد بعيد..

ليرد عليه (بيرك):

سيكون سفري طويلاً.. طوييييييييييييل..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و في تمام الساعة السابعة مساءً، تجمع كل أطفال الملجأ في الردهة الرئيسية وقد بدا عليهم الوجوم.. أغلبهم جوعى وكلهم غاضبون..

و أمامهم وقف (كونتز) بإعتداد، ليصيح:

- أمامكم ساعة لتنظيف المكان.. اعملوا بجد واعملوا بسرعة..

فبدأ الأطفال في الإنتشار في المكان بخطوات متثاقلة، ليلتفت (كونتز) إلى (شميدت) العجوز، قائلاً: هكذا نشغلهم لساعة كاملة، بعدها تخترع لهم شيئًا آخر ليفعلونه..

ماذا؟.. ارفع صوتك..

لا تهتم.. ما الذي تفعله هنا على أية حال..

ما الذي تقوله؟؟

فيشير (كونتز) بكفه بملل ويتجه إلى (ميراندا) و(ايمانويل) اللتان وقفتا في ركن الردهة، يتابعان ما يحدث، ليقول: أتوقع أن يزيدوا المكان قذارة لا أن ينظفوه.. إن منعهم من الغذاء اليوم لن يصيبهم بالطاعة..

لترد (ايمانويل) بلا اكتراث:

ليشعلوا النيران في المكان لو أرادوا.. لم أعد أهتم..

أمّا (ميراندا) فقالت في خفوت:

لم يكن ضروريًا ما فعلته مسز (بارتريدج).. إنها تقسو عليهم أكثر من اللازم.. كأنها نست أنهم يتامى لا أهل لهم..

الأطفال يحتاجون لقبضة من حديد.. ومسز (بارتريدج) تملكها وتستخدمها جيدًا..

إنك لم تر كيف هشمت أنف الفتاة المسكينة.. كل هذا من أجل صندوق من الحلوى..

أشار لها (كونتز) مصححًا:

ليست الحلوى.. بل (بيتر بيشوب).. كل مرة يذكر فيها أحدهم اسمه تصاب مسز (بارتريدج) بالسعار.. والواقع أنني لا ألومها كثيرًا.. لقد بالغ الأطفال في نسج القصص حوله..

ثم إنه ابتسم مردفًا:

و الليلة ينتظرون انتقامه.. كأن طفل مات في هذا الملجأ منذ عامين قادر على فعل أي شيء سوى أن يظل ميتًا.. أتعرفين كيف مات؟

صدمها السؤال لسبب ما، فظلت (ميراندا) صامتة للحظات، قبل أن تجيب أخيرًا: لست أحب التحدث في هذا الموضوع..

و ابتعدت بخطوات سريعة، تاركةً (كونتز) ينظر بتساؤل إلى (ايمانويل) التي أجابته بلا اكتراث: - صدقني.. لست أهتم بأي شيء يحدث هنا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و في تمام الساعة التاسعة تم تقديم العشاء للأطفال الجوعى، فلم يتركوا سوى أطباقًا تلمع بعد أن لعقت بضمير.. فقط لاحظ الكل أن مسز (بارتريدج) لم تحضر لتفسد عليهم وجبتهم كعادتها، لكنهم لم يفتقدوها بأي حال..

عادوا إلى غرفهم بعد العشاء، ليستقر كل طفل في فراشه، إلا الفتيات الثلاث (جين) و (لوريل) و(سارة)..

كانت (لوريل) بصوتها الذي منحته الضمادة على أنفها، رنة سخيفة: (جين).. لو كنت ستفعلينها من أجلي، فأنا متنازلة عن حقي.. أرجوكي لا تفعليها..

لكن (جين) أجابت بتصميم:

إذن فلن أفعلها من أجلك.. لكني سأفعلها..

لتقول (سارة):

ستحتاجين مساعدة؟

لا.. فقط ضعوا شيئًا أسفل ملاءة فراشي، ليبدو وكأني نائمة فيه.. والآن.. سأتحرك..

قالتها ثم ابتعدت بخفة، لتختفي في ظلام الممر أمام غرف الفتيات..

كنت أوّد أن أتبعها، لكني لا أملك سوى نصف ساعة، قبل أن يذهب (جوزيف) إلى حيث يمارس نشاطه السري أيًا ما كان ولا أنوي أن أضيعها على طفلة.. ثم إنني لا يمكن أن أتجسد في مكانين في ذات الوقت، لذا سيكون من الأفضل لو أسرعت لآخذ جولة أخرى في المكان، قبل أن أغادره هذه الليلة..

لربما عرفت أكثر عن (بيتر بيشوب)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكن هناك ما يستدعي الإهتمام، إلا في غرفة الطبيبة العجوز (مارثا).. العجوز التي يفوق عدد التجاعيد في وجهها، عدد الشعر على رأسك..

لقد كانت تدخن بشراهة وقد جلست أمامها (ايمانويل) تدخن هي الأخرى قائلة: يقولون أنها قتلته.. لم تطق الحياة معه أكثر من هذا، فقتلته..

لتتساءل (مارثا) بفضول، وبصوت خشن:

أواثقة أنت؟.. رباه.. لو كان ما تقولينه حقيقيًا، فلترحم السماء هذا الملجأ..

لست واثقة ولا أهتم لهذه الدرجة لأتأكد.. لكنني سمعت القصة ذاتها من أكثر من مصدر.. مسز (بارتريدج) قررت ذات ليلة أن زوجها لا يستحق الحياة أكثر من هذا، فملأت محقنًا بالهواء وأفرغته في عروقه بعد أن قيدته إلى الفراش.. ثم إنها لم تكتف بهذا، بل أشعلت فيه النيران وتركتها تلتهمه هو المنزل.. رجال الإطفاء قالوا فيما بعد أن أكثر شيء تفحم في المكان كان مستر (بارتريدج) ذاته..

هزّت (مارثا) رأسها في أسف، وقالت:

يا للمسكين..

بل قولي يا للمحظوط.. لقد تخلص منها نهائيًا..

إذن فمسز (بارتريدج) ذات تاريخ حافل.. هذه المرأة تتمتع بسادية غير طبيعية، وتعرف كيف تستفيد منها حقًا.. المهم الآن هو أن أعرف شيئًا ما عن (بيتر بيشوب)، لذا تركتهما وواصلت جولتي في المكان، لتمر النصف ساعة دون أن أظفر بشيء..

الآن موعدنا مع.. مع..

مع سوبر (جوزيف)!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

في اللحظة التي وصلت فيها إلى مقر (جوزيف) كان هو يغادره، حاملاً حقيبة صغيرة وملامحه الجامدة، ليخرج من الملجأ في حذر.. ومن وراءه انطلقت أنا خلفه كظله، لتتسارع خطواته تدريجيًا قبل أن تتحول إلى عدو واضح وصريح..

رجل في عمره لن يعدو إلا لثلاث أسباب.. أن يهرب، وأنا لا أرى ما يطارده.. أن يكون على عجلة من أمره، وهو ما لا يفسر حماسه الزائد.. أو أنه يعدو من باب الإحماء..

إنه يريد أن يكون في قمة لياقته لسبب ما..

هكذا تبعته إلى الجسر حيث انتظره رجل أنيق الملبس، يرتكن على عصا سوداء مدببة الطرف، نظر إلى (جوزيف) ببرود، ليقول:

تأخرت..

فلم يجبه (جوزيف) بل أخذ ينظر له في ثبات، ليقول الأنيق:

اتبعني..

قالها ثم تحركت كلنا عبر سلسلة من الحارات الضيقة الشبه مهدمة، حتى وصلنا إلى مبنى منعزل، طرق الأنيق على بابه، ليفتح لنا رجل آخر لا يقل أناقة عنه..

أهذا رجلك؟

نعم هو.. هل بدأتم؟

حالاً سنبدأ.. اطلب من رجلك أن يرتدي قناعه..

هكذا التفت الأنيق الأول إلى (جوزيف) ليقول مشيرًا إلى الحقيبة الصغيرة التي يحملها:

كالمعتاد..

ففتح (جوزيف) الحقيبة ليخرج منها قناعًا معدنيًا ذو أطرف حادة مدببة، وارتداه بسرعة ليخفي به ملامحه، ثم نزع قميصه، لتظهر عضلات صدره وساعديه، منذرة بالويل لمن يحاول الإقتراب منها..

أفسح لهما الأنيق الثاني الطريق، لندخل ولنهبط السلم إلى القبو حيث ارتفع الصخب عاليًا، لأجدني في آخر مكان أتوقع أن أصل إليه..

حلبة مصارعة!

في منتصف القاعة استقرت الحلبة، ومن حولها تجمهر حشد ضخم مزج المتأنقين بعمال المصانع بكل من لديه المال الكافي للمراهنة، وعلى الحلبة وقف رجل بدا معه (جوزيف) كطفل رضيع، مقارنة بضاخمته وشراسته، وقد رفع ذراعيه في السماء، عارضًا جسده للجمهور المتعطش للقتال..

التفت الأنيق الأول إلى (جوزيف)، ليسأله:

مستعد؟

فلم يجبه (جوزيف).. بل اتجه إلى الحلبة بخطوات واثقة، ليتوقف منافسه عن المرح وليلتفت له والسخرية واضحة على وجهه..

و قبل أن تبدأ المذبحة، قفز رجل نحيف إلى الحلبة، ليصيح في الجمهور، محاولاً إخراسه:

- الليلة.. والآن.. ستبدأ المبارة التي انتظرتموها طويلاً.. الصراع الأخير بين.. (مكارثي العنيف) و(جووووووووووووووووزيف)...

فانفجر الجمهور في صراخ هستيري وقد فقد صبره.. إنهم يريدون الدماء ولا سواها..

فصاح النحيف:

و لأنها مبارة نهاية الموسم، ستكون القاعدة كالتالي.. الرجل الذي سيظل على قدميه هو المنتصر.. لا أسلحة.. لكن فيما عدا ذلك، فالكل مسموح به.. المباراة ستبدأ... حالاً..

ثم إنه قفز خارجًا من الحلبة، ليقفز (جوزيف) على منافسه في ذات اللحظة..

و لا داع لوصف المباراة، لكن لنقل أن الدماء كانت تتناثر على وجوه المحيطين بالحلبة طيلة الوقت.. إن قاعدة (آخر رجل يظل على قدميه) تعني أن الآخر قد مات على الأرجح..

و وسط الجمهور سمعت النحيف، يتحدث مع الأنيق الأول الذي أتى بـ (جوزيف) إلى هنا، قائلاً:

- رجلك سيخسر الليلة.. فارق الحجم ليس في صالحه.. و(مكارثي) لئيم ذو خبرة..

- حقًا؟.. لنر إن كان سيفعلها أم لا..

- ثم أنني لا أفهم لماذا يرتدي رجلك هذا القناع؟.. أيخشى على نفسه من الشهرة؟

فأجابه الأنيق ببرود:

لقد فقد سمعه وقدرته على التحدث بسبب ضربة على رأسه في أحد المبارايات قبل أن يأتي إلى هنا.. هكذا لم يعد يملك سوى عيناه، ولو خسرهما سينتهي أمره كمصارع وكرجل..

عظيم.. لنأمل أن يترك له (مكارثي) عينًا واحدة على الأقل هذه الليلة..

ثم ابتعد ليذوب وسط الجمهور الذي تعلقت عينه بمباراة لم ير لها مثيلاً من قبل.. يكفي أن تعرف أن لكمات (مكارثي) كانت تترك انبعاجًا على قناع (جوزيف) المعدني، بينما تمكن هذا الأخير من تهشيم أحد ضلوع (مكارثي) الذي لم يبد عليه الألم..

و بين الجمهور زادت الرهانات لصالح (مكارثي)، وقد أخذ النحيف يجول وسطهم كالنحلة، يجمع الجنيهات ويدوّن الأسماء.. أمّا أنا.. فلم أجد أمامي سوى انتظار أن يهلك أحدهما لتنتهي المباراة..

و يبدو أن انتظاري لن يطول، فها هو (جوزيف) يترنح وقد أخذ (مكارثي) يدق عظامه، بقبضات أدمتها الأطراف الحادة على قناع (جوزيف) الذي انهار على ركبتيه فجأة، ليصرخ أغلب الجمهور فرحًا، بينما ضمّ (مكارثي) قبضتيه، ليهوي بهما على رأس (جوزيف)..

و من أسفل قناع (جوزيف) سالت الدماء لتبلغ عنقه فصدره، قبل أن يسدد هو لكمة مباشرة إلى قصبة ساق (مكارثي)، ليدوي صوت تهشم العظام في المكان، يعقبه صرخة (مكارثي) الرهيبة..

واحدة من أشنع صرخات الألم التي استمعت لها في حياتي، قبل أن يهوي (جوزيف) على قصبة الساق الأخرى، لينتهي الأمر..

تكوّم (مكارثي) على الأرض وهو يصرخ بلا انقطاع، بينما هبّ (جوزيف) وقفًا، لينظر إلى الجمهور الذي أخرسته الصدمة..

و قبل أن يعود الجمهور لصرخاته الهستيرية، كان (جوزيف) يغادر الحلبة في هدوء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

بعد أن اغتسل ونزع قناعه وارتدى قميصه، غادر (جوزيف) المكان مع الأنيق الذي حمل هذه المرة حقيبة اكتظت بالأوراق النقدية.. وعند الجسر فتحها، ليناول (جوزيف) نصيبه المعتاد، فدسّه (جوزيف) في جيبه في صمت، قبل أن ينطلق في طريقه والأنيق في اتجاه آخر..

هكذا يتم الأمر بينهما كما هو واضح.. وحين يأتي موعد المباراة القادمة، سيرسل له الأنيق خطابًا في المكان والميعاد..

وسيلة قاسية لجمع المال، لكن خيارات من هم في حالة (جوزيف) محدودة.. الواقع أنني أتساءل عن حاجته للمال أصلاً وهو لا يفعل شيئًا سوى حراسة هذا الملجأ...

ثم إن هوايته هذه تزيد من عدد من يرغبون في قتله.. وهذا ما سيحدث على أية حال، لكن من سيفعلها أولاً؟؟

وصلنا إلى الملجأ، ليلاحظ مثلي أن كل طوابقه مضاءة، ومن خلف النوافذ بدت الحركة غير طبيعية.. ثمة شيء ما حدث هنا..

هزّ (جوزيف) كتفيه وعاد إلى غرفته، بينما لم أحتمل أنا فضولي، لأسرع إلى الداخل، لأجد أن كل من في الملجأ قد انقسموا إلى نصفين.. نصف يبحث عن شيء ما ونصف آخر يصرخ في فزع!

ثمة شيء ما حدث هنا.. شيء رهيب..

كان التجمع الأكبر عند غرفة مكتب مسز (بارتريدج)... هناك وقفت (ميراندا) تبكي و(ايمانويل) التي لا تهتم بشيء بدا عليها الوجوم، بينما أخذ (كونتز) يوزّع أوامره على أذان لا تصغي له..

اخترقت الجمع وعبرت إلى غرفة المكتب لأجدها كما رأيتها آخر مرة، وإن صبغت جدرانها باللون الأحمر..

لون أحمر لزج أخذ يسيل على الأرضية ببطء، وعلى سطح المكتب استقر رأس ذو شعر رمادي معقوص، ووجه حملت ملامحه نظرة فزع رهيبة..

رأس مسز (بارتريدج)!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و كان الكل يبحث عن جسدها بلاجدوى..

أحدهم فصل رأس مسز (بارتريدج) عن جسدها، وتركه على سطح مكتبها، بينما اختفى الجسد ذاته بلا أثر..

لم يتركوا ركنًا في الملجأ لم يبحثوا فيه، لكن الجسد الضخم لشيطانة الملجأ لم يظهر... وتطوع أحدهم ليبلغ اسكوتلانديار، ليجلس الكل في النهاية في انتظار مجيئهم..

و ببطء تصاعدت الهمسات في المكان تردد اسمًا واحدًا..

(بيتر بيشوب)...

أمّا أنا فلم يكن لدي سوى اسم آخر لأردده، وأنا أجوب المكان بحثًا عن صاحبته..

(جين)...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكنها لم تكن هناك هي الأخرى، وهي كارثة لم تكن مسز (بارتريدج) لتسمح بها لو كان رأسها لا يزال يتصل بجسدها المفقود..

فقط وجدت رفيقتيها (سارة) و(لوريل) في أحد الغرف تتظاهران بالبحث، وتتهامسان: فعلتها (جين)..

لقد قالت أنها ستفعلها، لكني لم أتصور أن تتمادى إلى هذا الحد..

(بيتر بيشوب) لا يعرف أنصاف الحلول.. (جين) أخبرتني بهذا سابقًا.. لقد كان ينتظر إشارتها..

إنها لم تخبرنا قط كيف كانت تتصل به..

إنه سرها الذي حافظت عليه طويلاً.. لا أحد يعرف طريقًا لـ (بيتر بيشوب) سواها، وهو الذي اختارها على حد قولها..

أتظنين أنها ستعود؟

لا أعرف.. لقد أخبرتنا عن الثمن الذي عليها أن تدفعه لو أرادت أن ينتقم (بيتر بيشوب) لنا.. رباه.. مجرد التفكير في هذا الثمن يصيبني بالرجفة..

ستأتي الشرطة..

عرفت.. لكنهم لن يجدوا جثتها.. لا أحد يجد ما يأخذه (بيتر بيشوب)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(6)

عند هذه المرحلة لم يعد هناك شيء يهمني سوى أن أعرف كل شيء ممكن عن (بيتر بيشوب)، ولا يمكنك أن تلمني على هذا..

بصورة ما أصبح هذا الطفل الذي مات منذ عامين أهم من كل الأحياء الذين يعج بهم هذا الملجأ، وحتى (جوزيف) الذي عليّ أن أتابع ما يحدث له، لم يفعل شيئًا سوى النوم في غرفته متجاهلاً كل ما حدث ويحدث، إن كان عرف به أصلاً...

لكن كيف سأعرف؟؟

إنني لن أتجسد الآن لأبدأ في توجيه أسئلتي للكل، فلست هنا لهذا الغرض، لا أمل لي إلا أن يكون ما حدث هذه الليلة سيدفع البعض للثرثرة.. على الأقل ستدفعهم التحقيقات للثرثرة، وهذا ما سيحدث حين يصل رجال اسكوتلانديار..

و لأن رجال اسكوتلانديار يستحقون سمعتهم، لم تمض نصف ساعة، حتى كان رجالهم يملأون المكان، ويعزلون الأطفال في غرفهم..

التقطوا الكثير من الصور في غرفة مكتب مسز (بارتريدج)، ثم أخذ أحدهم رأسها إلى حيث سيشرحونه، بينما بدأ المحقق (كريستوفر فيسك) في استجواب الكل بالترتيب..

بدأ بـ (ايمانويل) لسوء حظه، فلم يحظ منها سوى بـ:

شيء مؤسف حقًا.. لكن لا بأس.. كلنا سنموت يومًا ما.. لقد كنت في فراشي حين حدث هذا ولا أعرف أكثر من هذا.. شيء مؤسف، لكن لا بأس...

هكذا صرفها المحقق (فيسك) قبل أن يرتكب الجريمة الثانية في هذا الملجأ، وأتى بـ (كونتز) الذي كان لديه أشياء أكثر ليذكرها:

أعداء؟.. الملجأ كله كان يكرهها.. ليس إلى درجة قتلها بالطبع، لكن مسز (بارتريدج) لم تهتم يومًا بأن يتقبلها أحد في المكان.. ثم إن السؤال الأهم هو كيف تمكن من قتلها من فعلها؟.. كيف نزع رأسها دون أن تقاومه وأن يشعر بها أحد؟.. وأين أخفى جثتها؟

قالها فأجابه (فيسك):

أنت هنا لتجيب على الأسئلة لا لتطرحها.. أين كنت وقت حدوث الجريمة؟

فتردد (كونتز) قبل أن يجيب في صدق:

كنت أراقب (ميراندا)..

تراقبها؟.. لماذا؟

فيزداد تردد (كونتز) قبل أن يجيب أخيرًا:

فقط لا تخبرها أنك عرفت هذا مني.. لكن (ميراندا).. لكن (ميراندا).. لكن (ميراندا) تعمل مع الألمان..

!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يقول (كونتز):
عرفت هذا أول مرة منذ شهرين.. حين رأيتها تقف عند بوابة الملجأ تتحدث مع رجل طويل بارد الملامح، وحين رأتني.. تركته وأسرعت عائدة إلى الملجأ.. بعد هذا بأيام صادفت هذا الطويل البارد في حانـ.. أقصد مقهى بالقرب من هنا.. كان يجلس مع اثنان لا يقلان عنه طولاً أو برودًا، وحين مررت من جوارهم سمعتهم يتهامسون بالألمانية..

ما تقوله خطير للغاية يا مستر (فيسك).. أهذا كل شيء؟

لا.. في مرة ثانية وجدتها تقرأ خطابًا كتب بالألمانية.. كانت تقرأه وتسجل ملاحظاتها في نوتة صغيرة، ولكني لم أتمكن من معرفة محتوى هذه الرسالة.. ثم إنني لا أفهم لماذا تعمل مع الألمان وقد هزموا بهذه الصورة المخزية؟.. أخشى أنهم يدبرون شيئًا ما وأن تعود الحرب مرة أخرى إلى لندن..

فأجابه (فيسك):

- لا تخف.. سنتولى نحن هذا الموضوع من هذه النقطة.. فقط لا تحدث فيه أحدًا مهما كان السبب..

- لن أفعل.. صدقوني، ليس من الحكمة أن تثرثر هنا في ملجأ (القلب المقدس)...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمّا طبيبة الملجأ العجوز (مارثا)، فكانت صاحبة أفضل استجواب في هذه الليلة.. الواقع أنني وبعد أن أصغيت لإستجوابها، تمنيت أن يستجوبوها إلى الأبد، كيلا تصمت أبدًا!

كانت المرأة تتمتع بذاكرة فوتوغرافية وتاريخية مذهلة، وكان اهتمامها بالتفاصيل، يؤهلها لتكون خليفة (أجاثا كريستي).. خذ عندك على سبيل

المثال:

نعم أذكر أين كنت وقت حدوث الجريمة.. لقد كنت في فراشي في غرفتي أقرأ في (الدليل الكامل لفن التشريح).. كنت أقرأ في صفحة ٢٢٣ تحديدًا، تلك التي تتحدث عن أورام القولون التي تسبب تقرحات في..

كفى!.. دكتورة (مارثا)... ألديك مشتبه فيه؟.. شخص تعتقدين أنه قاتل مسز (بارتريدج)؟

بالطبع.. إنه (بيتر بيشوب)!

الطفل الذي مات منذ عامين..

و من قال أنه مات؟.. إنني أردد ذات القصة منذ ليلة اختفاءه ولم يصدقني أحد.. (بيتر بيشوب) لم يمت.. إنه حي.. وهو من قتل مسز (بارتريدج)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

تقول (مارثا) وقد بدأت تدخن: سأحكي لكم قصة (بيتر بيشوب).. كان في العاشرة حين جاء إلى هنا.. وكانت معه أمه، مما أثار حيرتنا على الفور.. نحن هنا نأوي الأطفال الذين فقدوا ذويهم، فلم تأتي أم بابنها لتتركه هنا؟ ولكن أمه لم تتركنا لحيرتنا طويلاً.. لقد أخبرتنا مسز (بيشوب) أن هذا الطفل ليس ابنها، وأن زوجها عاد به من أحد سفرياته، وقرر تبنيه فجأة رغمًا عن إراداتها.. وبما أن زوجها مات في الحرب فلم تعد مضطرة للعناية به..

من أين أتى به مستر (بيشوب) بالضبط؟

لم تخبرنا مسز (بيشوب).. هي نفسها لم تعرف.. كل ما أخبرتنا به أنها تخشى هذا الطفل، وأنها لا تطيق وجوده في منزلها.. هكذا قبلناه، وهكذا رحلت مسز (بيشوب) ولم تعد أبدًا.. لكني تفهمت خوفها من (بيتر) حين رأيته.. كان (بيتر) نحيلاً ذو شعر أصفر قصير وعينيان سوداوان واسعتان بشدة.. واسعتان كأنه مذهول، لكنه لم يكن كذلك.. لقد كان يبتسم نصف ابتسامة، وكانت ثقة عجيبة تطل من كل خلجة من خلجاته..

و ما المخيف في هذا؟

كل شيء.. إنني أتحدث عن طفل في بلد غريب عنه، والشخص الوحيد الذي يعرفه مات في الحرب، وهو الآن مقدم على الحياة في ملجأ لا يبعث على البهجة كما ترى.. المعتاد أن يبكي الطفل بحرقة أول ليلتين هنا، قبل أن يعتاد كل شيء.. ثم إن ابتسامته لم تكن تليق بسنه على الإطلاق.. كانت ابتسامة رجل ناضج ينوي شيئًا ما... وبعد أن انضم لنا عرفت أنني لست وحدي من أخشاه..

هل كان الأطفال يخافونه؟

بل الكبار.. الأطفال وقعوا في غرامه وأصبحوا تابعين له على الفور.. لكن الكبار كان يخشونه لسبب مجهول وكانوا يتحاشونه كالطاعون.. خاصة مسز (بارتريدج).. لقد كانت تعتبره مرضًا خبيثًا أصاب الملجأ وكانت تتمنى التخلص منه بأي طريقة.. خاصة حين بدأ الأطفال في.. في..

في ماذا؟

في شرب دماء القطط..

!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقول (مارثا):

كانت البداية حين جاءني أحد الأطفال وهو يشكو من ألم في معدته، وهنا وفي ظل غياب أدوات الفحص والتحليل، لم يكن أمامي سوى أن أمنحه شراب ليقيء.. افترضت أنه شرب شيء ما لم يكن له أن يشربه، وأردت أن أخلصه منه قبل أن يتوغل في أحشاءه.. ولكن حين بدأ القيء فوجئت بكم الدماء التي أغرقت الفراش الذي رقد عليه الطفل.. أصبت بالهلع.. وكان أول ما فكرت فيه هو دوالي المريء الناتجة عن تليف الكبد، لكن.. لكنه كان طفل صحيح البدن ولم يكن يشكو من أية أعراض، وقبل أن أقرر تحويله إلى المستشفى، فوجئت به يقول أنها دماء قطة.. قطة ذبحها (بيتر بيشوب) وأغراه بشرب دماءها..

لماذا؟

لم يخبرني الطفل، فأرسلت في استدعاء (بيتر بيشوب).. رباه.. لكم كنت أخشاه!.. لقد جاءني ونصف الإبتسامة على وجهه وتلك الثقة المفرطة التي لا يوجد ما يبررها.. وحين سألته أجابني بهدوء، لأن شرب دماء القطط سيعيده للحياة حين يموت..

ماذا؟!!

هذا ما قاله.. وهذا ما ردده كل الأطفال الذين أتوا بعده.. أسماءهم بترتيب مجيئهم إليّ هو (جون) و(مايكل) و(ايزابيللا) و..

لا داع.. وكيف مات (بيتر بيشوب)؟

ليلة الحريق.. منذ عامين.. النيران اشتعلت ف المكان فجأة دون تفسير، فأسرعنا نخرج الجميع، وحين أطفأوا النيران عثروا على جثته.. أو هكذا حسبوها.. فأنا واثقة أنه لم يمت ليلتها..

قطّب (فيسك) طويلاً ليستجمع هذا كله في رأسه، قبل أن يصل إلى النتيجة التي تليق بكل ما سمعه..

هذه العجوز المسكينة تخرف!

هكذا قال لها بلهجته الصارمة: سأكتفي بهذا القدر الآن.. أشكرك على تعاونك وسأرسل لك إن احتجتك ثانية..

لكن..

شكرًا دكتورة (مارثا)..

ثم إنه نظر إلى أحد مساعديه ليقول: تأخر الوقت ولن يمكنني استجواب الجميع الليلة.. تأكدوا من تأمين المكان، وامنعوا أي شخص من الدخول أو الخروج منه حتى الصباح..

و عاد يفكر قليلًا، قبل أن يردف: - سنقضي ليلتنا هنا أيها السادة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هكذا حصلت – أخيرًا – على فرصة للتجول في المكان مرة أخرى لأبحث عن (جين)...

لكنها لم تكن هنا.. الفتاة اختفت تمامًا ولا ألومن المشرفين هنا لو لم يكتشفوا اختفاءها حتى الآن.. ما حدث ويحدث أهم بكثير..

هكذا لم يعد أمامي سوى العودة إلى غرفة (جوزيف) لأتأكد من وجوده، قبل أن يختفي هو الآخر لأقضي وقتي كله في التجول كشبح من أشباح هذا الملجأ..

وجدته نائمًا فأخذت أرمق الملجأ من الخارج وقد بدأت نوافذ تظلم، واحدة تلو الأخرى، قبل أن يسود الظلام المكان..

هكذا تنتهي هذه الليلة العجيبة..

و غدًا يبدأ يوم جديد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(8)

في صباح اليوم الثاني، وأثناء تحضيرهما للإفطار، لم يغن التوأمان (مارك) و(بيرك)..

من يجرؤ على الغناء في ملجأ، نزع رأس مديرته قبل أن يختفي جسدها، ليبيت فيه رجال سكوتلانديار مع الأطفال المرعوبين؟

كان الإفطار يتكون من شريحة من اللحم، مع ملعقتين من البازلاء والكثير من الحساء، وهي وجبة تليق بغداء، لكن مسز (بارتريدج) كانت تردد دومًا أن الإفطار أهم من الغداء..

الإفطار سيمنحك الطاقة التي سيحتاجها جسدك طيلة اليوم، أمّا الغداء فهو طريقك للبدانة، ومسز (بارتريدج) كانت تمقت البدانة كالجحيم.. لهذا يتكون الغداء من الخضروات والحساء وقطعة من الخبز فقط..

كانت مشكلة (مارك) و(بيرك) الوحيدة هي الحصول على اللحم، في مدينة تبحث أغلب مبانيها عن الكهرباء، لذا اتفقا مع أحد التجار ليمدّهم بحاجتهم من اللحوم يوميًا، على أن يحصل من إدارة الملجأ على مبلغ ثابت شهريًا، وهي صفقة لم تحبها مسز (باتريدج) كثيرًا..

لذا تضاءل حجم شريحة اللحم في الإفطار، بحيث تحول من شريحة تغطي نصف الطبق إلى أخرى تغطي ثلثه، إلى شريحة بائسة تغطي جوعك بالكاد..

في ساعات الصباح الأولى، يمر التاجر قرب بوابة الملجأ الخلفية، ليترك لهم صندوق اللحم المجمد بعناية، لينقله (مارك) و(بيرك) إلى الداخل حين يستيقظا، ليبدآ عملهما في تحويل شرائح اللحم الضخمة إلى أخرى أقل حجمًا وأكثر توفيرًا، قبل أن تبدأ عملية الطهو التي تستغرق منهما ثلاث ساعات على الأقل..

و خلال الساعات الثلاث أخذ التوأمان في إعداد الموائد والصحون، وقد خيّم عليهما الصمت، قبل أن يقول (بيرك) فجأة: - يقولون أن (بيتر بيشوب) فعلها..

فانتفض (مارك) وصاح:

أجننت؟.. أهذا وقت مناسب لذكر هذا الاسم؟

الكل يذكره..

إلا نحن.. ليذكره الكل، لكننا لا نعرف شيئًا.. نحن لا نخرج من المطبخ ولا نعرف شيئًا يحدث خارجه.. اتفقنا؟

لا أفهم لماذا تخاف رجال سكوتلانديار بهذه الصورة؟

لأنهم لا يفشلون قط.. هل فكرت في هذا سابقًا؟.. كل الجرائم التي عملوا فيها توصلوا فيها إلى الجاني مهما بلغت صعوبة الأمر.. ألم تفكر في سر هذا؟

لأنهم بارعون.. لهذا حصلوا على شهرتهم..

بل لأنهم يلفقون.. لو لم يظهر الجاني، فأي شخص يصلح أن يكون الجاني لو استجوبوه بالدقة اللازمة.. أنت تفهم ما أعنيه؟

بدت الحيرة على (بيرك) للحظات، قبل أن يفهم أخيرًا ليهتف في ذعر: أتظنهم؟.. لا.. مستحيل..

حقًا؟.. ضع نفسك مكان هذا المحقق (فيسك).. جريمة كهذه حدثت في ملجأ، لو لم يعثر فيها على الجاني، فما هي فرصته للترقي؟.. لكن لو اكتشف لأنه (دقيق) في استجوابه أن التوأمين اللذين يعيشان في المطبخ هما الفاعلان.. لو تمكن من (إجبارهما) على الإعتراف.. سيصبح بطل المدينة..

صمت (بيرك) هذه المرة وإن بدت الصدمة على ملامحه، فاقترب (مارك) منه، ليربت على كتفه، وليقول: عزيزي.. نحن لا نعرف شيئًا ولن نعرف.. فقط تذكر هذا وستمر أيامنا بخير..

ثم عاد ليواصل توزيع الأطباق، قبل أن يتذكر شيء ما فجأة، ليقول: (بيرك).. لماذا يبدو الـ.. لا عليك.. انس الموضوع..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و حين بدأ الإفطار كان المحقق (فيسك) ورجاله يجلسون على الطاولة المجاورة لطاولة المشرفين والدكتور (مارثا)، الذين أخذوا يتهامسون في توتر.. أمّا (جوزيف) فتناول إفطاره في غرفته خارج المبنى كعادته..

و إلى الآن لم تظهر (جين)!

فقط كانت رفيقتيها (سارة) و(لوريل) تتهامسان بتوتر: (جين) لم تعد حتى الآن..

أيجب علينا ان نخبر الشرطة؟

لا.. لن أخاطر بالتحدث معهم.. سننتظر عودة (جين)..

و ماذا لو لم تعد؟

أيًا ما كان مكانها.. سيكون أفضل من هنا..

ثم جالت (سارة) بعينيها الصغيرتين في المكان، قبل أن تبتسم وتقول: لكم يبدو المكان أفضل بعد موت مسز (بارتريدج)..

أمّا المحقق (فيسك) فأخذ يتناول طعامه في صمت، متجاهلاً كل إشارات (كونتز) الخفية تجاه (ميراندا) كأنه يطلب منه أن يقبض عليها الآن ويعدمها فوق مائدة الطعام.. وكانت (مارثا) العجوز هي الوحيدة التي لم تأكل، بل أخذت تدخن في شراهة، وهي تردد لنفسها: الحمقى.. سيعرفون في النهاية أنهم حمقى.. وسأخبرهم أنني أخبرتهم بهذا لكنهم لم يصغوا لي..

كان هذا في اللحظة التي بصقت فيها تلك الطفلة ذلك الشيء المعدني في طبقها، قبل أن تكتشف ماهيته، لتبدأ في الصراخ الهستيري.. وعلى مائدتها تعلقت عيون الكل بذلك الخاتم الصغير الذي استقر في صحنها..

خاتم مسز (بارتريدج)!!

هكذا بدأ الصراخ على طاولتها، قبل أن ينتشر كالنار في الهشيم في باقي الطاولات.. هكذا الأطفال والنساء.. يصرخون أولاً، ثم يفهمون ثانيًا..

و في اللحظة التي تحولت فيها صالة الطعام إلى مهرجان للصراخ، كان (بيرك) يفرغ الإناء الضخم الذي يطهيان فيه اللحم، لتسقط منه بعض الأصابع البشرية..

الأطفال يصرخون.. المشرفون يتساءلون.. (فيسك) ورجاله يحاولون عبثًا السيطرة على الموقف، ومن وسط هذا كله تولد الحقيقة الرهيبة في بطء..

لقد كانت وجبة الإفطار التي لن تظل في أحشائهم طويلاً هي...

مسز (بارتريدج) ذاتها!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد هذا بدأ مهرجان القيء وتنافس فيه الجميع!

و لأول مرة منذ وصوله إلى الملجأ، بدت الثورة في صوت المحقق (فيسك)، وهو يصيح: - أريد التوأمين للإستجواب.. حالاً..

فلم تمض دقائق حتى كانت أحد غرف الملجأ تحويه والتوأمان اللذان أخذا يرتجفان، والصدمة لا تزال واضحة عليهما.. اليوم سيكون عليهما أن يشرحا كيف طهيا مسز (باترتريدج)، وبالتالي كيف حصلا على جثتها، والأهم من هذا كله..

لماذا قتلتماها؟

قالها (فيسك) لينتفض (مارك) صائحًا:

لم نفعلها.. أقسم لك أننا لم نفعلها..

حقًا؟.. كيف وصلت إلى آنية الطهو إذن؟.. كيف جرؤتما على هذا التصرف الشنيع؟

لم نفعلها.. لا أعرف كيف حدث هذا، لكننا بريئان!

و هكذا بدأ التوأمان يشرحان لـ (فيسك) خطوات حصولهما على اللحم، منذ أن يأتي به التاجر وحتى يتحول إلى وجبة ضئيلة على طبق كل طفل، ليزداد موقفهما سوءً..

لا أحد يدخل المطبخ سواهما، ولا أحد يمكنه أن يرتكب هذه.. هذه (الكارثة) دون علمهما، وبالتالي يكون الإستنتاج الوحيد الذي يملكه (فيسك) هو: لقد قتلتما مسز (بارتريدج) وتخلصتما من جثتها بأشنع طريقة ممكنة.. إنني أوجه لكما اتهامًا رسميًا..

ثم أشار لرجاله دون أن يمنحهما فرصة للرد:

تحفظوا عليهما.. لم أنته منهما بعد..

لينقل رجالة التوأمان المسكينان، إلى حيث سيقتنعان أنهما من قتلا مسز (بارتريدج)، وحيث سيعترفان بما هو أكثر من هذا لو لزم الأمر..

و مال أحد رجال (فيسك) عليه ليهمس:

- سننهي التحقيق عند هذا الحد؟

- لا.. إنها القضية الأولى..

ثم لمعت عيناه حماسًا قبل أن يردف:

لا تزال أمامنا قضية التجسس.. أريد (ميراندا) أمامي.. الآن..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و كانت (ميراندا) في هذه اللحظة مع (جوزيف) في غرفته..

كان يجلس أمامها صامتًا على فراشه، بينما جلست (ميراندا) على المقعد الوحيد في الغرفة لتقول: لن تنتهي هذه المأساة.. إنها مجرد بداية.. (بيتر بيشوب) لن يتوقف عند هذا الحد..

فلا يرد (جوزيف).. لا يسمعها أصلاً، لكنها تواصل:

و أنت أيها المسكين.. الوحيد الذي رأى الحقيقة، لكنك لا تملك أن ترويها لأحد.. أنت الوحيد الذي يعرف أن الأمر لن ينتهي عند هذا الحد..

يرمقها (جوزيف) بنظراته الجامدة، ثم يمد يده أسفل حشية الفراش ليخرج النقود التي حصل عليها ليلة أمس، فتنظر لها (ميراندا) بتأثر: (جوزيف).. أعدت إلى المبارايات مرة أخرى؟

لا يرد (جوزيف).. بل يهز يده التي تمسك النقود، لتأخذها منه (ميراندا) مبتسمة في حزن: لا بأس.. سأفعل ما تريده.. فقط عدني أنك لن تعرض نفسك للخطر..

فيشير (جوزيف) إلى الكدمات في رأسه، لتلاحظها (ميراندا) لأول مرة، فتمد يدها لتتحسسها في رفق، قبل أن تقول: سآتي بـ (مارثا).. هي ستعتني بك..

لكن أحد رجال (فيسك) ظهر عند باب الغرفة، ليقول في صرامة: آنسة (ميراندا).. المحقق (فيسك) يريد أن يراك.. الآن..

فتهز (ميراندا) رأسها مستسلمة، وتنظر لـ (جوزيف) مرة أخيرة لتقول: يومًا ما سيعرف الكل ما تفعله من أجلهم..

ثم تبتعد مع رجل (فيسك)، تاركةً (جوزيف) الذي انتظر حتى غابت، قبل أن يخرج خطابًا جديدًا من أسفل حشية فراشه.. خطاب قرأت فيه: الليلة.. عند الجسر.. ستكون هناك أسلحة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(9)

ببطء جلست (ميراندا) أمام المحقق (فيسك)، لتقول بصوتها الخافت: طلبت رؤيتي..

فأجابها وهو ينظر لها في شك واضح:

آنسة (ميراندا).. أيمكنك أن تقرأي هذه الورقة لي من فضلك..

ثم ناولها ورقة كتبت عليها جملة ما بالألمانية، نظرت لها (ميراندا) للحظة، قبل أن تقول: لا أعرف هذه اللغة..

حقًا؟.. ألم تميزي أنها مكتوبة بالألمانية على الأقل؟

لا.. لست أعرف حرفًا من الألمانية..

فقام (فيسك) من على مقعده، وبدأ يدور حول (ميراندا) وهو يرشقها نظرات شكه، قائلاً: لكن ما أعرفه عنك هو أنك تجيدين الألمانية جيدًا.. أنك على علاقة بالألمان..

توقعت عند هذه اللحظة أن تنهار (ميراندا) باكية، لكني فوجئت بها، تجيب في ثبات: لا أعرف مصادر معلوماتك، لكن من الواضح أنها خاطئة..

مصادري لا ترقى إلى الشك..

كذلك موقفي.. إنني مشرفة في ملجأ، فبم ستفيد علاقتي بالألمان؟.. كما ترى إننا لا نقف في منشأة عسكرية سرية، لأبيع أسرارها للعدو.. ثم إن الحرب انتهت ولم يعد هناك ألمان أصلاً في شوراع لندن..

فصاح (فيسك) فجأة بطريقة درامية:

لكن سجونها تكتظ بهم.. وإن آجلاً أو عاجلاً نعرف كل من كانوا يتعاونون معهم أثناء الحرب..

مستر (فيسك).. أتوجه لي اتهامًا محددًا؟

ربما.. آنسة (ميراندا).. أين كنت حين قتلت مسز (بارتريدج)؟

كنت خارج الملجأ..

أين؟

ترددت (ميراند) لحظة قبل أن تجيب:

كنت.. كنت أتنزه.. أردت بعض الهواء النقي..

ألديك ما يثبت هذا؟

لا..

فتوقف (فيسك) عن الدوران حولها، وأشار لها ليقول في بطء: آنسة (ميراندا).. اعلمي أنه ومنذ هذه اللحظة سيكون عليك الإلتزام بعد الخروج من الملجأ مهما كانت الأسباب.. ثم إن..

لكن أحد رجاله اقتحم الغرفة فجأة، ليصيح بتوتر: سيد (فيسك).. لقد عثرنا عليها.. أقصد على عظامها..

و صمت لحظة، قبل أن يردف:

- عظام مسز (بارتريدج)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في بهو الملجأ تجمع (فيسك) ورجاله و(كونتز) و(شميدت) و(ايمانويل) وبعض من الأطفال الذي لم يجدوا من يجبرهم على العودة إلى غرفهم..

و كانت أعين الجميع معلقة بالثريا الهائلة في منتصف سقف البهو، ورجل (فيسك) يشرح: - في البداية ظننا أن الإضاءة ضعيفة لأن المصابيح لم تغير منذ فترة.. ثم حين سقطت العظمة الأولى، أدركت أن هناك سبب آخر لضعف الإضاءة..

ثم ناول عظمة فخذ طويلة لـ (فيسك)، مردفًا:

كما ترى.. العظمة حديثة ولا تزال آثاء الدماء وانتزاع اللحم من عليها واضحة.. وحين صعدنا إلى الطابق العلوي لننظر إلى الثريا عن كثب وجدنا الهيكل كاملاً.. لم نحركه من مكانه حتى يأتي فريق المعمل الجنائي، لكننا التقطنا صورة واضحة..

و ناول الصورة لـ (فيسك) ليرى فيها الهيكل العظمي لمسز (بارتريدج) وقد علق مقلوبًا بحيث تخفيه الثريا الضخمة، فنظر لها هذا الأخير بإمتعاض، قبل أن يقول أخيرًا: - ما يحدث هنا غير طبيعي بالمرة.. الأمر يتجاوز كونه جريمة قتل بكثير..

و عاد ينظر إلى الصورة الرهيبة، قبل أن يقول:

- أعتقد أنه من الأفضل أن نرسل له.. لـ (هاري برايس)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هكذا بدأت مرحلة سجن الأطفال في غرفهم.. وحتى وجبات الطعام أصبحت تقدم لهم فيها، بعد أن تولى رجال (فيسك) عملية تدبيرها، إلى أن يعثروا على

طباخين جديدن..

و حين أتي رجال المعمل الجنائي، بدأت عملية انتزاع الهيكل من مكانه، ثم بدأت مرحلة التقاط الصور وفحص العظام التي انتهت بلا شيء تقريبًا..

شيء ما غير طبيعي نزع رأس مسز (بارتريدج) من على جسدها، ونزع اللحم عن عظامها قبل أن يعلق هيكلها بهذه الصورة..

حتى التوأمان (مارك) و(بيرك) لن يقويا على هذا كله، لكنهما مشتبهان لا بأس بهما، ولهذا قرر (فيسك) أن يظلا في حوزته حتى يجد بديلاً مناسبًا..

الآن تتحول القضية كلها إلى (هاري برايس) الذي لم يأت بعد، والذي لا أعرف عنه أي شيء، لكني سأعرف بعد قليل الكثير.. فالهمسات التي كانت تردد اسم (بيتر بيشوب) سابقًا، أصبحت تردد اسمه الآن..

قالت عنه (ايمانويل) بلا اهتمام حقيقي، لـ (كونتز): (هاري برايس).. قرأت عنه ذات مرة، لكني لم أهتم به..

الاسم يبدو لي مألوفًا، لكني لا أذكر لماذا؟

إنه صائد الأشباح الشهير.. أتذكر تلك الصورة التي نشرت منذ أعوام لرجل، يقف شبح امرأة جواره؟

فصاح (كونتز) منبهرًا:

أهو ذات الرجل؟.. يا إلهي.. لقد تذكرته.. إنه من كشف سر منزل أبرشية (بورلي)..

هو ذاته..

يقولون عنه أنه عبقري وذو قدرات خارقة..

ربما.. سيأتي إلى هنا وسنتأكد من هذا عمليًا..

أمّا (مارثا) العجوز، فكان لها رأي بديل صارحت به (ميراندا) في غرفتها: ذلك النصاب.. كيف يزعم رجل ناضج مثله القدرة على الاتصال بالموتى..

فابتسمت (ميراندا) لأول مرة منذ رأيتها لتقول: أتخيل لو حاول الإتصال بمسز (بارتريدج).. ستلعن أجداده وستتهمه بالتطفل..

سيستحق هذا لو فعل.. الكل يتجاهل الفاعل الحقيقي، ويبحث عن شيء آخر ليضيع وقته.. لو أرادوا العثور على القاتل، فعليهم العثور عليه.. على (بيتر بيشوب)..

فسألتها (ميراندا) بحذر:

ألازلت تعتقدين أنه حي؟

بل واثقة.. من غيره يقدر على ما حدث؟.. أنت بالذات تعرفين أنه لم يمت ليلة الحريق..

فأجابت (ميراندا) على الفور:

قلت لك أنني لست واثقة..

لكنك رأيت ما أصابه مثلي.. رأيت كيف استطال جسده وأخذ يجوب الملجأ وسط النيران التي لم تمسه بضرر.. رأيته يـ..

فهبت (ميراندا) واقفة، لتقاطعها قائلة:

دكتور (مارثا).. أرجوك.. لا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع..

فمنحتها (مارثا) نظرة طويلة متفحصة، قبل أن تقول: لازلت تشعرين بالذنب؟

سأعود إلى غرفتي.. إنني في حاجة إلى النوم..

و دون أن تمنحها فرصة للرد، غادرت (ميراندا) الغرفة بخطوات سريعة، فتبعتها عبر الممر الطويل أمام الغرف، حتى توقفت فجأة لتستند على الحائط، ولتنفجر في بكاء حار حزين..

هذه المرأة تخفي أسرارًا في أعماقها أكثر من قدرتها على الإحتمال..

أكثر بكثير..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(10)

و حين أتى المساء تسلل (جوزيف) خارجًا من الملجأ، حاملاً قناعه وخنجر صغير في حقيبته..

عند الجسر انتظره الأنيق وقد بدا عليه التوتر هذه المرة، وهو يقول: (جوزيف).. لست مضطرًا لخوض هذه المباراة.. الإصابات قد تكون فادحة هذه المرة..

لكن (جوزيف) لم يبد عليه التردد حتى، فقال الأنيق: الرهان سيكون خمس أضعاف المعتاد.. ونسبتك هذه المرة ستبلغ النصف، لكني أحذرك مرة أخرى.. هذه المبارايات تسيل فيها الدماء بكثرة.. وقد تصاب بإعاقة جديدة هذه المرة، إن لم تفقد حياتك أصلاً..

فأخرج (جوزيف) الخنجر من حقيبته ودسه في حزامه، في إشارة واضحة بأنه مستعد.. ووقفت أنا إلى جواره ألعن حماقته دون أن يشعر بي..

حتى في مدينة مثل لندن يمكنك أن تحصل على المال بألف طريقة، دون أن تعرض حياتك إلى الخطر بهذه الصورة.. ثم إنه يمنح المال في النهاية لـ (ميراندا) دون أن يستمتع به، فما الذي يجبره على هذه الحياة؟

ما هو سرك يا (جوزيف) وكيف سينتهي بك الحال مذبوحًا يا صديقي؟؟

تبعتهما إلى حارات لندن، ومنها إلى مبنى جديد هبطا إلى قبوه لأجد أن الحلبة قد اختلفت هذه المرة.. هذه المرة كانت أسوار معدنية تحيط بالحلبة، وكان الجمهور يحافظ على مسافة آمنة بينه وبين أرض الحلبة.. وكانت آثار دماء قديمة تغطي هذا كله، مما يمنحك فكرة عن المذبحة التي ستحدث بعد قليل..

أهكذا سيموت (جوزيف)؟.. أهنا سيذبح وسيتخلصون من جثته، بينما يقتسم منافسه ومديره الأرباح؟..

أتكون هذه نهاية قصتي، دون أن أعرف سر ما حدث ويحدث في الملجأ؟!

ربما..

من يدري؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من الواضح أن الأحداث المثيرة لا تحدث في الملجأ إلا حين أغادره مع (جوزيف)، لذا سنترك المباراة الدموية التي ستبدأ بعد قليل، وسنعود إلى الملجأ، لأحكي لكم ما عرفته لاحقًا..

سنعود إلى المحقق (فيسك) الذي رفع صوته إلى أقصى درجة، لكي يسمعه (شميدت)، قائلاً: هل تذكر ما حدث ليلة الحريق؟

فأجابه (شميدت) بعصبية:

بالطبع أذكر.. لقد فقدت سمعي، لكني لم أفقد ذاكرتي.. لماذا تسأل؟

كاد (فيسك) ينفجر فيه غاضبًا، لكنه استجمع غضبه في صوته، صائحًا: أريد أن أعرف ما الذي حدث بالضبط..

لا بأس.. سأحكي لك إذن.. لقد بدأ الحريق في الغرفة التي كان ينام فيها (بيتر بيشوب)..

و رفع عيناه إلى سماء الغرفة، كأنه يستعيد رؤية ما حدث، قبل أن يواصل: - لقد كانت النيران تلتهم كل شيء.. كل شيء.. لم تكن نيرانًا طبيعية أبدًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يقول (شميدت):

في تلك الليلة وقبل أن يبدأ الحريق زارني (بيتر) في غرفتي، وكان لديه تساؤل غريب حقًا.. كان يريد أن يعرف إن كانوا قد شرحوا جثة والده أم لا.. بالطبع لم أعرف إجابة سؤاله العجيب، فسألني إن كانوا قد أحرقوا جثته كما طلب أم دفنوها كما هي، ومرة أخرى لم أتمكن من منحه جوابًا أكيدًا..

ألم تسأله عن سر اهتمامه بهذا الموضوع؟

بالطبع سألته لكنه لم يجبني.. (بيتر) يسأل ولا يجيب.. هذا ما يعرفه الكل عنه.. ثم كان سؤاله الأخير لي هو.. هل عدت من الموت من قبل يا مستر (شميدت)؟

قالها ببطء.. قالها بخوف..

و بصوت مبحوح لفرط الإنفعال، قال (فيسك):

- طفل غريب حقًا.. وما الذي حدث بعدها؟

- في تلك الليلة رآه زملاءه يأوي إلى فراشه في ميعاده.. ثم رأوا ذلك الضوء الساطع وقد انبعث من أسفل ملاءته، قبل أن تشتعل النيران في فراشه فجأة.. نيران غير طبيعية بالمرة.. الأطفال حكوا لي كيف أنها كانت تنتشر بسرعة غير طبيعية.. كيف كانت تتشكل على هئية طفل يجري ضاحكًا.. كيف بدأت تطاردهم.. أنا رأيت النيران ورأيت كيف التهمت ثلثي الملجأ في لحظات، قبل أن تخبو فجأة..

فصاح (فيسك) مذهولاً:

خبت فجأة؟!

لحسن الحظ.. نيران كهذه لم يكن لنا أن نسيطر عليها مهما حاولنا، لكن الخسائر كانت فادحة.. خسائر في المبنى، فبمعجزة ما لم يمت في هذه الليلة سواه..

أأنت واثق؟.. أعني أأنت واثق من موته؟

لقد حملت جثته المتفحمة من على فراشه بنفسي.. بل وأشرفت على نقلها أيضًا إلى المشرحة ومنها إلى قبر عند أطراف المدينة.. يمكنني أن آخذك إلى هناك لتراه بنفسك..

قالها فصمت (فيسك) لبرهة، قبل أن يقول أخيرًا بنوع من الشرود: ما سأخبرك به سري للغاية وسأتوقع منك ألا يعرفه أحد سوانا.. أنا أعرف أين يقع قبر (بيتر بيشوب).. أعرف لأنه فتح منذ عدة أشهر بواسطة مجهول.. مجهول ترك القبر خاويًا..

و ازداد شروده قبل أن يردف:

- إما هذا.. أو أن (بيتر بيشوب) خرج من قبره بنفسه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(11)

قوانين المباريات التي تستخدم فيها الأسلحة واضحة ولا تقبل النقاش..

يمكنك أن تستخدم السلاح الذي تريده على ألا تستخدمه في الطعن المباشر.. الجروح الوحيدة التي من حقك أن تسببها هي الجروح القطعية لا النافذة، لكن حتى هذه الإصابات لها قواعد..

ممنوع استخدام السلاح مع العنق أو الوجه أو الأوتار.. المطلوب من هذه الإصابات أن تسبب لمنافسك آلامًا تفوق قدرته على التحمل، أو أن تجعله ينزف دماءه حتى تخور قواه.. لكن هذا لا يعني حد خطورة المواجهة..

دعك من الندوب التي ستتركها والتشوهات التي قد تسببها، في بعض الحالات ينزف المنافس حتى يموت، وفي هذه الحالة يتم إعلان فوز المتباري الثاني، لكن النقود يخصم منها تكاليف الدفن وإخراس الألسن.. لا تنس أن هذه المباريات غير قانونية، وهذا لا يعني أن رجال الشرطة غافلون عنها، لكنهم فقط يتعاطون ما يكفيهم ليديروا أعينهم بعيدًا عمّا يحدث..

تعقد هذه المبارايات في حلبات محاطة بأسوار معدنية، لضمان عدم خروج أحد منها حتى تنتهي المباراة، والإستسلام مسموح به، لكن لا أحد يستسلم في هذه المبارايات..

في الأغلب لا يجد الوقت ليفعل..!

كل هذا يعرفه (جوزيف) ويستوعبه جيدًا، وكل هذا لم يفت في عضده حين دخل إلى الحلبة حاملاً خنجره ومرتديًا قناعه، في انتظار غريمه الذي ستمترج دماءه بدمائه حالاً.. أمّا الجمهور فتحول إلى ذئاب مسعورة تتعطش للدماء التي ستتناثر على وجههم بعد قليل..

غريم (جوزيف) هذه المرة كان أيرلنديًا يدعى (جاك سبيرنتو).. لك أن تتخيل المعتاد.. الشعر الناري الطويل، والأنف المحمرة من السكر الدائم، و(جاك) أفرط في الشراب هذه الليلة لسببين..

أولاً ليقلل من شعوره بالألم.. وثانيًا ليحدث أكبر قدر ممكن من الضرر..

بقامته المديدة وجسده الرشيق والقفازين المزودين بمخالب حادة، دخل (جاك) الحلبة، ليعلن مسؤول الرهانات بدء المبارة.. ولتنطلق الصرخات الحماسية من مئات الحناجر..

أمّا (جوزيف) و(جاك) فأخذا يدوران حول بعضهما البعض، باحثين عن ثغرة تصلح للهجوم، دون التعرض لإصابة خطرة.. ثم تراجع (جاك) فجأة إلى ركن

الحلبة، ليستند عليها بظهره، وليدير وجهه بهدوء شديد، كأنه يدعو (جوزيف) لهجوم مضمون، فلبى هذا الأخير نداءه..

انقض عليه بالخنجر بسرعة واحترافية، لكن (جاك) انحنى في اللحظة الأخيرة، ليمزق عضلات بطن (جوزيف) بمخالبه، قبل أن يركله في جرحه، ليسقط (جوزيف) على ظهره مضرجًا في دماءه..

لكنه يرتد من سقطته بسرعة عجيبة، ليطوح بالخنجر في الهواء، ليتمزق صدر (جاك) الذي لم يشعر حتى بجرحه، حتى بدأ ينزف بغزارة..

ثم يعودان للدوران حول بعضهما البعض..

نمران حبيسان.. يسيل الدماء من كل واحد منهما ليثير جنون الآخر.. ومن حولهم يصرخ الجميع مطالبين بالمزيد..

ينقض (جاك) هذه المرة، لكن (جوزيف) يتحاشى ضربته ويمسك به من عنقه، ليطوحه إلى ركن الحلبة، ليرتد (جاك) إليه بمخالبه، فيتفاداه (جوزيف) بالكاد.. (جاك) يملك الرشاقة، لكن (جوزيف) لديه الخبرة.. لذا ألقى بخنجره بطريقة فنية، ليحتك نصله بظهر (جاك)، قبل أن يسقط أرضًا، ليصرخ (جاك) في ألم..

على الفور قفز (جوزيف) ليستعيد خنجره، لكن (جاك) قفز تجاهه فجأة وقد أعماه الخمر والغضب، ليغرس مخالبه الحادة في كتفي (جوزيف) الذي سقط على ركبتيه، والجمهور يشهق في انفعال..

مخالفة صريحة لقوانين اللعبة، يسرع على إثرها مدير الرهانات إلى بوابة الحلبة، لكن (جوزيف) يشير له كيلا يتدخل.. وبيديه ضرب (جاك) في صدره ليطير إلى الوراء وليسقط على ظهره، فقام (جوزيف) ببطء ورفع خنجره في الهواء..

هنا يصرخ أحدهم في هستريا:

اقتله.. اقتله..

فيرددها الجمهور من بعده:

اقتله.. اقتله..

فيطوح (جوزيف) ذراعه إلى الوراء:

اقتله.. اقتله..

فيقترب الجمهور من الأسوار المعدنية ويبدأون في الطرق عليها:

- اقتله.. قتله..

فيصرخ (جاك) مفزوعًا:

اقتله.. اقتله..

فيلقي (جوزيف) بالخنجر..

و تنتهي المباراة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نعود إلى الأحداث التي عرفتها متأخرًا للأسف.. وهي كثيرة كما سترى..

ففي اللحظة التي ألقى فيها (جوزيف) بخنجره، كانت (مارثا) العجوز تجوب ممرات الملجأ في عصبية.. لقد احتست بعض أكواب الشراب بعد أن تركتها (ميراندا)، فعاد غضبها المدفون يطفو إلى السطح..

لا أحد يصدق (مارثا) العجوز.. وكان هذا يثير جنونها بشدة!

طوال سنوات حياتها وهي تنتظر اليوم الذي سيبيض فيه شعر رأسها، ليتحول إلى تاج الحكمة.. حينها سيتحول أي شيء تقوله، إلى قول مأثور يستحق التدوين، لتتناقله الأجيال.. حينها ستصدر أحكامها وستملأ أذان مستمعيها بكل شيء وأي شيء.. حينها سيهابها الجميع وسيصغون لها جيدًا قبل أن ينفذوا ما تقول بلا مناقشة..

لكن العكس ما حدث.. الكل أصبح يتعامل معها على كونها (مارثا) العجوز التي فقدت عقلها أو جزءً منه.. (مارثا) التي يصغي لها الكل، ليهزّوا رؤوسهم في إشفاق.. (مارثا) التي لا يصدقها أحد..

لقد أخبرتهم أن (بيتر بيشوب) لا يزال على قيد الحياة، لكنهم يرفضون تصديقها.. والأسوأ أنهم لا يعارضونها حتى!..

تخبرهم أنه حي، فيهزون رؤوسهم، وينتهي الموضوع عند هذا الحد..كأنهم يرفضون أن يضيعوا وقتهم معها..

لكن لا بأس..

الليلة ستثبت لهم أنهم حمقى.. الليلة ستثبت لهم أنها كانت محقة طيلة الوقت..

ستثبت لهم أن (بيتر بيشوب) حيّ..

هكذا أخذت تجوب ممرات الملجأ بخطوات سريعة، حتى بدأت تلهث.. الكل نائم أو في طريقه للنوم، ولكنهم حين يستيقظون، سيلتفون حولها بأعين منبهرة، وسيتوسلون إليها لتخبرهم بكل شيء وأي شيء..

تلهث.. تلهث.. لكنها لا تبطيء..

تلهث.. تلهث.. لكنها تصل أخيرًا إلى ذلك الجزء المعزول من الممرات في الطابق الأول.. إلى ذلك الركن الذي تغطيه الظلال..

وقفت أمامه تلتقط أنفاسها، ثم مدت يدها في الظلال فذابتا فيه، حتى لامست الجدار فأخذت تتحسسه حتى لامست أناملها ذلك البروز فدفعته بقوة..

لم يحدث شيء.. دفعته بقوة أكبر، فلم يتزحزح، ليصيبها الجنون، ولتقف لتركله بقدمها حتى كادت تهشمها، حتى تهاوى ذلك الجزء من الجدار فجأة، ليكشف عن كوة صغيرة توارت خلفه طويلاً، وقد أخذت تحدق فيها في انتظار..

هنا اعتدلت (مارثا) العجوز، ثم قالت في حزم:

أنا أعرف أنك هنا.. اخرج الآن..

فلم يخرج شيء!

قلت اخرج الآن وإلا..

لكن الكوة أعادت إليها إنذارها بصدى واهن، فانحنت على ركبتيها ومدت ذراعها حتى المرفق داخل الكوة، وهي تتمتم:

سأخرجك بنفسي إذن..

أخذت تعبث بيدها في الظلام للحظات، حتى قبضت أصابعها أخيرًا على تلك اليد الطفولية، فجذبتها على الفور، دون أن تخرج صاحبها..

كف عن المقاومة واخرج..

لكن اليد تملصت منها فجأة، ثم قبضت على معصمها في لحظة.. ومن داخل الكوة ارتفع صوت هامس، قال:

الآن أجذب أنا..

ثم جذبتها اليد الطفولية لتشعر (مارثا) بذلك الألم الرهيب في كتفها، قبل أن تنفصل ذراعها عن جسدها لتغيب في ظلام الكوة!

هل صرخت؟.. لا أعتقد..

أشياء كهذه حين تحدث لا تأمل فيها، إلا أن تكون الصدمة العصبية قد قتلتك قبل أن تشعر بالألم الحقيقي.. ثم إن أحدًا لم يسمع صراخها في هذه الليلة..

أم أنها لم تجد الوقت لتصرخ؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(12)

لكن (ميراندا) لم تكن في الملجأ هذه الليلة..

بعد أن تركت (مارثا) تظاهرت بالعودة إلى غرفتها والنوم، عالمة أن هناك من يراقبها من رجال (فيسك)، ثم تسللت عبر نافذتها إلى ذلك الإفريز الضيق الذي يقود إلى سلم الطواريء، لتهبط به إلى الحديقة الخلفية.. إنهم لم يصلحوا السور بعد، لذا لن يكون الهرب من هنا عسيرًا، ورجال (فيسك) لن يتخيلوا أن تقفز هذه الآنسة الواهنة من نافذتها لتهرب..

لكنها لم تكن تنوي الهرب على أية حال.. فقط كان عليها أن تراه..

لذا أسرعت الخطى مبتعدة عن المكان، وأخذت تتلفت حولها بين الفينة والفينة، بحثًا عن من يتعقبها، فلم تجد.. أخذتها خطواتها إلى أحد الحانات عند أطراف المدينة، فدخلتها لتميل على أذن الساقي، لتهمس فيها بشيء ما، ليقودها الساقي ببساطة إلى الباب الخلفي ومنه إلى سلسلة من الممرات قادتها في النهاية إلى مخرج آخر من الحانة، لتعود إلى شوارع لندن الضيقة المغلفة بالضباب..

لم يكن من الحكمة أن تتواجد في مثل هذا الوقت في مثل هذا المكان، لكنها لم تخش أن تتحول إلى رقم على ملف أحد جرائم القتل والإغتصاب.. (جاك) السفاح نفسه، لن يقنعها بالعودة فالليلة يجب أن تراه..

قادتها الشوارع إلى أطراف المدينة، حتى بلغت أحد المنازل الأنيقة، فدرات حوله لتدخل إلى حديقته الخلفية، ومنها إلى الداخل حيث تصاعدت موسيقى (موتسارت) الحزينة..

كان منزلاً أنيقًا بحق يبعث على الدفء والطمأنينة، وكانت إضاءته القوية تعلن وبوضوح عن خلوه، إلا من صوت أتى من أحد الغرف، فاتجهت (ميراندا) إليها، وهي تقول: أعرف أنني تأخرت، لكن..

لكنك تأخرت.. فلا داع لإضاعة المزيد من الوقت..

قالها الصوت بالألمانية، في اللحظة التي دخلت فيها (ميراندا) الغرفة لترى صاحبه.. كان رجلاً كبير العظام إن صح القول.. رأسه ضخمة، وذراعاه طويلتان عريضتان، وقامته المديدة تجعلك تشعر أن رأسه سيصطدم بالسقف في أية لحظة.. كان يجلس على مقعد هزاز، شابكًا أصابعه أمام وجهه الذي كانت ملامحه تشي بالغضب..

عرفت أن رجال اسكوتلانديار معكم في الملجأ..

فأجابت (ميراند) وهي تقف أمامه في احترام وبذات لغته: نعم منذ الأمس.. لقد قتلت مسز (بارتريدج)..

أعرف.. كما أعرف أنها البداية لا أكثر..

أيجب أن تتحدث بالألمانية؟.. أنت تعرف أنني أخشى أن يسمعنا أحد..

فهب الرجل حتى كاد يصدم رأسه بالسقف، صائحًا:

و أنت تعرفين أنني أمقت من يخافون..

فكادت (ميراندا) ترد عليه، قبل أن تقرر أن تبتلع لسانها وتلوذ بالصمت، ليقول هو وقد بدأ يذرع الغرفة جيئة وذهابًا: أنت تعرفين ما عليك فعله.. أليس كذلك ؟

أعرف..

أريد أن أعرف ما سيحدث أولاً فأول، فالموقف لم يعد..

لكنه بتر عبارته حين فوجئ بثلاث من رجال (فيسك) يقتحمون الغرفة ومسدساتهم في أيديهم، وأولهم يصيح في انتصار: سقطت أيتها الجاسوسة..

!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أما الأنيق فلم يتوقف عن الضحك حتى بلغ الجسر هو و(جوزيف)..

كان يتذكر ما حدث فيضحك بشدة تدمع معها عيناه.. ثم يقول: أنت عبقري يا (جوزيف).. عبقري..

و الواقع أنني كنت أشاركه هذا الرأي على الرغم من رأيي في المبارايات أساسًا.. فما فعله (جوزيف) كان ذكيًا بحق..

لقد ألقى بخنجره بحيث يصطدم مقبضه بجبهة (جاك) الذي فقد الوعي على الفور، ليعلقه (جوزيف) بحزامه في سقف الحلبة المعدني، قبل أن يشير للجمهور بما معناه.. إنه لكم..

هكذا اندفع العشرات داخل أسوار الحلبة المعدنية، حتى تحول الأمر إلى مهزلة ضاعت فيها صرخات منظم الرهانات إلى الأبد..

بهذا نال (جاك) جزاءه، وبهذا انتهت المباراة..

و قال الأنيق وهو يخرج من جيبه بعض الأوراق المالية: - هاك ما استطعت إنقاذه من نقود الليلة.. خذهم.. لست في حاجة إليهم..

فتلقى منه (جوزيف) النقود بلا اهتمام.. فقط بدا عليه إرهاق شديد، فجروحه التي توقفت عن النزيف، كلفته كمًا لا بأس به من الدماء..

سأتركك لترتاح لفترة.. هذا حقك.. اعتن بنفسك يا (جوزيف)..

قالها ثم ربت على كتف (جوزيف) قبل أن يتركه ليبتعد في هدوء، ليبتلعه ضباب لندن الحزين.. أمّا (جوزيف) فأخذ يجر قدميه عائدًا إلى الملجأ، وعلى وجهه ذات التعبير الجامد الذي لا يتغير.. وحين يعود، سيعطي هذه النقود لـ (ميراندا) لسبب ما..

هكذا ينتهي يوم جديد لي هنا دون أن أفهم شيئًا مما يحدث..

هكذا سو..

توقف..

ارتفع بها صوت غاضب مألوف، فالتفت أنا و(جوزيف) لنرى صاحبه.. (جاك) الذي اكتظت معالمه بالكدمات، وقد أحاط به ثلاث رجال، ارتدوا قبضات معدنية مدببة الأطراف..

أتظن أنك ستسخر مني وتنجو؟.. الليلة.. الليلة ستكون نهايتك يا (جوزيف)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و كان (كونتز) في هذا الوقت يحلم..

لقد اعتاد أن يخلد إلى فراسه مبكرًا، وكان ممن يتمتعون بموهبة إغلاق العينين للنوم على الفور التي لم أحظ بها للأسف.. هكذا لا تمر دقيقة عليه حتى تنتظم أنفاسه وتبدأ الأحلام..

و أحلام (كونتز) لا تهمنا في شيء لحسن الحظ، لكن أن يقطعها ذلك الصوت العجيب، فهذا ما يستحق ذكره..

كان صوت خطوات ثقيلة متباعدة، كأن صاحبها يخطو الخطوة ثم ينتظر بعدها طويلاً قبل أن يخطو الأخرى.. وكانت خطواته لزجة!

كأنك تسير على سائل لزج.. ثم أضف إلى هذا صوت التنفس الثقيل، الذي تحشرج ليخرج منه: *كوووووووووووووووووووونتززززززززز*

فيتململ (كونتز) في فراشه دون أن يستيقظ..

خطوة لزجة.. تنفس ثقيل.. ثم:

كوووووووووووووووووووووووووونتززززززززز

فيفتح (كونتز) عيناه بإنزعاج، صائحًا بصوت ناعس: من الذي؟..

خطوة لزجة.. تنفس ثقيل.. ثم طرقات أثقل على باب غرفته: كووووووووووووونتززززززززززز..

لو كنت مكانه لما فتحت الباب، لكنه أحمق!

لذا هبّ من على فراشه في سرعة، وأسرع إلى الباب يفتحه وهو يقول: لحظة.. من؟.. الوقت..

ثم ذابت حروفه في صرخة طويلة أطلقها حين رأى من الطارق..

فأمامه وقفت (مارثا) وقد أغرقت الدماء التي أخذت تسيل من موضع ذراعها المفقود على ملابسها، وقد أمسكت بيدها الأخرى ذراعها التي لا تزال تقطر بالدماء.. وكانت تبتسم!

- (مارثا).. يا إلهي!.. ما الذي؟؟

فخطت (مارثا) خطوة لزجة أخرى، ثم اتسعت ابتسامتها، لتجيب وهي تمد يدها بذراعها المبتور: انظر ما الذي أحضره لي (بيتر).. إنه ولد طيب..

قالتها ثم سقطت أخيرًا لتضع حدًا لخط الدماء الذي كانت تمدّه خلفها.. زاغت عيناها فجأة وتلاشت ابتسامتها في شهقة قوية، قبل أن تسقط على قدمي (كونتز) الذي قفز إلى الوراء كالملسوع..

رباه.. ما الذي حدث؟!

و طافت عيناه بالدماء التي لوثت الممر كله، كأنه يبحث فيها عن جواب..

لكنه لم يجد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هكذا أسرع (كونتز) إلى غرفة (شميدت) وهو يرتجف من قمة رأسه وحتى إخمص قدميه..

كانت غرفة (شميدت) هي الأقرب إليه، وكان هو على وشك الإصابة بإنهيار عصبي لو لم يجد من يصرخ أمامه، لذا أخذ يطرق كالمجنون على باب غرفة العجوز شبه الأصم، فلم يفلح هذا في إيقاظه..

هنا بدأ (كونتز) في الصراخ ليوقظ الملجأ كله:

النجدددددددددددة... النجدددددددددددددة...

و هو أسلوب فعّال حقًا، فلم تمض دقيقة حتى كان كل من في الملجأ يفركون أعينهم مستيقظين، يتساءلون عن ذلك الأحمق الذي أيقظهم بهذه الصورة.. حتى (شميدت) استيقظ ليفتح بابه صائحًا في حنق: - من الذي؟.. (كونتز)؟!.. أجننت يا رجل؟!

لكن (كونتز) قبض على يده وجذبه جذبًا إلى غرفته حيث استقرت جثة (مارثا) وذراعها، وقد امتدت الدماء في الممر أمامهما، فلم يكد (شميدت) يرى الجثة، حتى صاح: يا رب السموات.. من الذي فعلها؟

فأجابه (كونتز) بصوت بحّ من الصراخ:

لقد.. لقد أتتني هكذا.. و.. وماتت.. لم.. أعرف..

وصل (فيسك) في هذه اللحظة وآثار النعاس بادية في ملامحه، ليرى الجثة أمامه تلخص له الموقف كله، ليقول ضاغطًا على حروفه: - إذن فما يحدث هنا لن يتوقف عند هذا الحد..

نعم.. لكن، ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

لحظات ووصل رجال (فيسك) ومن خلفهم بعض الأطفال الذين أيقظهم صراخ (كونتز)، فصاح فيهم (فيسك) بصرامة: عودوا إلى غرفكم.. وأغلقوا الأبواب.. من سيغادر فراشه سأسجنه بنفسي..

فبدأ الأطفال في التراجع والحيرة في أعينهم.. الواقع أنهم كانوا مستعدين لأي شيء بعد أن التهموا مسز (بارتريدج) على الإفطار، لكن (فيسك) لم يكن ليخاطر بموجة ذعر جديدة تجتاح الملجأ، لذا التفت إلى (كونتز) ليقول: هل عرف سوانا بما حدث؟

أنتما الوحيدان..

عظيم.. سننقل الجثة الليلة وسنخبر الجميع أن (مارثا) غادرت الملجأ لتعمل في مكان آخر..

لكن.. لكن ذراعها.. أحدهم انتزع ذراعها.. من؟ كيف؟

و هما السؤالان اللذان كادا يصيبان (فيسك) بالجنون منذ وصل إلى هنا..

من؟.. وكيف؟

جريمة الليلة تثبت براءة التوأمين وبالتالي لن يعود بإمكانه التحفظ عليهما أكثر من هذا.. لكنها ستعيده إلى نقطة البداية..

هناك قاتل طليق في الملجأ.. والأسوأ أنه لن يتوقف عند هذا الحد..

قاتل قد ينتمي إلى هذا العالم، أو أنه خرج من قبر (بيتر بيشوب)..

أم إنه (بيتر بيشوب)؟!!

هكذا عصفت الأسئلة بعقل (فيسك) المنهك، فقال أخيرًا: غدًا يأتي (هاري برايس)..

ثم انتزع ملاءة فراش (كونتز) ليغطي بها جثة (مارثا)، مردفًا: و لنأمل أن يمنحنا بعض الأجوبة وإلا.. وإلا فلنغلق هذا الملجأ نهائيًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(13)

و في غرفة الفتيات بدأ تحليل مفصل للأخبار..

قالت أحد الفتيات بخوف واضح: لقد عثروا على جثة جديدة.. في غرفة مستر (كونتز)..

فسألتها أخرى:

أأنت واثقة؟

نعم.. لكني لم أعرف من؟.. في الصباح سنعرف بالتأكيد..

و القاتل؟

عرفت أن المحقق (فيسك) تتبع الدماء لتقوده إلى ثقب في الجدار.. وعرفت أيضًا أنه عثر هناك على مفاجأة أخرى..

فاتسعت أعين الفتيات في لهفة: ماذا؟

لقد عثر على آثار أقدام حافية.. أقدام طفل..

فشهقت الفتيات في رعب، وهمست إحداهن: (بيتر بيشوب)..

لتلتفت كل الأعين في النهاية إلى (سارة) و(لوريل)، لتقول الأولى: إنه خطأ (جين).. لقد فتحت أبواب الجحيم علينا..

و قالت (لوريل):

- وهي لم تعد حتى الآن..

قالتها فعادت هذه الحقيقة تسطع في عقول الجميع.. أين ذهبت (جين)؟

و لماذا لم تعد حتى الآن؟؟

قالت أحد الفتيات في قلق:

عرفت أنهم قد يغلقون الملجأ..

فعادت الشهقات الطفولية تملأ المكان، وتساءلت أخرى: ما الذي سيحدث لنا حينها؟

لتجيبها (سارة):

سينقولوننا إلى ملجأ آخر..

لكن (لوريل) قالت:

و من أدراك أن هناك ملجأ آخر.. انظري إلى الملجأ الذي نعيش فيه.. لو كان هناك آخر يصلح لنا، فلماذا لم ينقلوننا حتى الآن؟

ما الذي تعنينه؟

أعني أنهم لو أغلقوا هذا الملجأ، فيسلقون بنا في الشوارع.. أعني أنه لن يعود هناك طعام أو سقف ننام أسفله..

هكذا ولدت الشائعة وهكذا وجدت طريقها إلى آذان أطفال الملجأ جميعًا، ليفقدوا كلهم رغبتهم في النوم.. هذه الليلة قد تكون آخر ليلة لهم هنا، ومن بعدها..

سيبتلعهم ضباب لندن الحزين!

و فجأة صاح أحدهم:

- النافذة.. انظروا من النافذة..

لم يدر أحد من صاح بها، لكن رؤوس الكل أطلت من نوافذ الملجأ، لتحمل كل الأوجه نظرات ذهول لا حد لها..

فأمامهم.. وعبر بوابة الملجأ كانت فتاة صغيرة تغطى جسدها كله بالدماء الجافة، تدخل إلى الملجأ بخطوات بطيئة ونظرات شاردة..

فتاة تعرفوا عليها بصعوبة، لتتحول همساتهم إلى صرخة رددتها جدران الملجأ: (جين).. لقد عادت..

هنا أصبح من المستحيل السيطرة على الموقف، فلم يحاول رجال (فيسك) السيطرة.. فالكل خرج من غرفه ليتحول كل من في الملجأ إلى نهر بشري أخذ يصب خارجه، حتى تجمع الكل أخيرًا حول (جين) التي توقف عن التقدم..

و بمشقة بالغة حفر (فيسك) لنفسه طريقًا في الجدار البشري الذي أحاط بـ (جين)، حتى بلغها أخيرًا، لتنهار هي بين ذراعيه..

و كان الشيء الوحيد الذي همست به في أذنه هو: - (بيتر).. لقد عاد..

الذي عاد!

ملخص ما سبق

مرة أخرى وجدت نفسي في لندن، لكنها كانت لندن ما بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت الكثير والكثير..

هذه المرة كنت أتبع شبح (جوزيف) الذي يعمل كحارس لملجأ القلب المقدس، حيث جمعوا الأطفال الذين فقدوا ذويهم في الحرب، وهذه المرة كانت التفاصيل أكثر وأعقد من أن ألخصها هنا لكني سأحاول..

الملجأ تديره مسز (بارتريدج) قاسية القلب التي تعاني من الأساطير التي ينسجها الأطفال حول شبح واحد منهم يحمل اسم (بيتر بيشوب).. وهي ليست مجرد أساطير، فبسبب قسوة (بارتريدج) المفرطة تعمل أحد الفتيات على إعادة (بيتر بيشوب) وهذا ما قد يبدو ساذجًا في البداية، لكنهم حين يكتشفون إختفاء الفتاة (جيني) وجثة (بارتريدج) التي فقدت رأسها يدركون أنه عاد حقًا!

هكذا يصبح عليّ أن أتابع ما يحدث في الملجأ وما يفعله (جوزيف) الذي يقضي لياليه في المباريات الغير مشروعة والتي يجمع أموالها لسبب غير مفهوم.. لذا تتوالى الأحداث في اتجاهين طيلة الوقت، فلا أعرفها كلها إلا بعد فوات الأوان للأسف..

دعني أذكرك بمن في الملجأ في سرعة أولاً.. لدينا مسز (بارترديج) التي يلتهم الأطفال جثتها بعد أن دسها أحدهم في ثلاجة اللحوم.. لدينا الطبيبة (مارثا) العجوز ذات الذاكرة الخرافية والتي يبدو أنها تعرف أكثر من اللازم إذ أنها تلقى مصرعها بأن ينتزع (بيتر بيشوب) ذراعها في جسدها.. ولدينا أربع مشرفين هم (شميدت) العجوز الذي يملك خزينة أسرار يبدو أنه لن يفتحها أبدًا، و(كونتز) الشاب الذي لا يعرف سوى أن (ميراندا) تعمل مع الألمان!

(ميراندا) هي المشرفة التي تحب الأطفال لكنها لا تملك لهم شيئًا مع ضعف شخصيتها المفرط، وهي التي يلقى القبض عليها في شقة ألماني بالفعل يبدو أنه ذو علاقة بما يحدث هنا، وهي على عكس (ايمانويل) التي لا تهتم بشيء طاما سجائرها متوفرة..

لدينا أيضًا التوأم (مارك) و(بيرك) اللذان يعملان كطباخي الملجأ المرحان، واللذان توجه لهما تهمة قتل (بارتريدج) بعد أن انتهى بها الأمر في قدورهما تغلي، ليتلاشى مرحهما إلى الأبد..

(بارتريدج) و(مارثا) هلكتا وبهذا يتبقى لنا (شميدت) و(كونتز) و(ميراندا) و(ايمانويل) والتوأمان وبالطبع (جوزيف) الذي يقف الآن أمام غريمه (جاك) يستعد لملاقاة مصيره بعد أن تسبب في هزيمته بطريقة مخزية..

ما الذي ينقصنا أيضًا؟.. نعم.. عادت (جيني) وملابسها غارقة بالدماء لتعلن أنها أعادت (بيتر بيشوب) حقًا، وهكذا يرسل (فيسك) محقق (سكوتلانديار) في

إرسال صائد الأشباح الشهير (هاري برايس) ليساعده على حل غموض الأحداث الرهيبة التي يعاني منها ملجأ القلب المقدس، فهل يفعلها؟!

هذا هو أسوأ ملخص لما حدث والواقع أنه سيكون من الأفضل لو قرأت العدد السابق أولاً لتنعش ذاكرتك، فالأحداث لن تتوقف عند هذا الحد وما سيحدث هو..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(14)

حان الوقت لأعرفكم بـ (هاري برايس)...

نحن ننتظر وصول الرجل منذ فترة لذا فلا ضير لو أخبرتكم القليل عنه قبل أن نمضي في قصتنا..

ولد (هاري برايس) في لندن في السابع عشر من يناير عام ١٨٨١، وتلقى تعليمه هناك ليتخرج من كلية (Haberdashers' Aske's Hatcham)، وخلال درساته بدأ في كتابة المسرحيات وساهم في تأسيس مجتمع كارلتون للدراما، وتركزت كتاباته في هذه المرحلة عن تجاربه مع الأشباح والبيوت المسكونة، قبل أن يقرر أن يجذب انتباه الصحافة له بأسلوب آخر..

ففجأة قرر هاري برايس أنه مهتم بعلم الموجات اللاسلكية، وقام بتأسيس محطة إرسال وطبق استقبال ما بين بروكلي وهاتشام، ليعلن أنه تمكن من التقاط وبث الموجات اللاسلكية، وإن لم يقدم إثباتًا واحدًا يدعم اكتشافه، ليتهمه الكثيرون بالكذب والإدعاء..

لكن هذا الإدعاء منحه كمًا لا بأس به من الشهرة، فأخذ يكتب سلسلة من المقالات في عدة صحف، تنوعت فيها مواضيعه حول اهتمامه بجمع العملات النادرة، والإكتشافات الأثرية، ليدعي بعد فترة أنه تمكن من العثور وامتلاك قطعة أثرية نادرة تخص آخر ملوك الرومان (هونريوس)، لكن حتى هذا الإكتشاف ثبت كذبه بعد فترة، والقطعة التي أعلن عن إكتشافها ثبت أنها مزيفة!

لكن كل هذا لم يبعده عن اهتمامه الأصلي بالسحر وعلوم ما رواء الطبيعة.. ففي طفولته رأى برايس عرضًا لأحد السحرة، ليعلن بعد ذلك أن هذا العرض السحري غير مجرى حياته تمامًا..

هكذا بدأ هوس برايس بعالم السحر فبدأ في تجميع الكتب التي تتحدث عن السحر عبر العصور حتى أسس ما أسموه بعد ذلك بمكتبة هاري برايس، وركزّ في دراساته عن السحرة الهنود وقدرة بعضهم على السير حفاء على الجمر المشتعل، وعلى حيلة الحبل الشهيرة، والتي يقوم فيها الساحر الهندي بتثبيت حبل في الهواء دون أن يربطه في شيء، قبل أن يبدأ في تسلقه..

لكن هذا الهوس لم يلبث أن تحول إلى هوس بعلوم ما وراء الطبيعة وبالبيوت المسكونة، فبدأ في زيارة أشهر المنازل والقصور المسكونة بالأشباح، وليثير الصحافة مرة أخرى، نشر صورة له مع شبح قام بإصطياده على حد زعمه، وكان ذلك عام ١٩٢٢..

و في هذه الفترة نشر عدة كتب عن انجازاته في عالم صيد الأشباح، نذكر منها The Haunting of Cashen's Gap و-The Confessions of a Ghost Hunter، مستغلاً شهرته التي تضاعفت على نحو مفرط في تلك الفترة..

ثم زار بعد ذلك منزل بورلي أشهر المنازل المسكونة في العالم كله، وقام بتأجير المنزل لعام كامل أخذ يفحص فيها المنزل، ويحاول تسجيل أي أصوات أو صور لهم، ليعلن للعالم في نهاية العام أنه تمكن من إثبات أن هذا المنزل مسكون بالفعل وأنه يملك أدلة مادية لإثبات هذا الزعم..

ثم كتب كتابًا شهيرًا عن تجربته في هذا المنزل تحت اسم The End of Borley Rectory، قبل أن يعقبه بكتابي The Most Haunted House in England و Poltergeist Over England..

و إلى جوار صولاته وجولاته في عالم الأشباح لم ينس برايس عشقه للدراما فساهم في تأسيس المؤسسة البريطانية للأفلام وكان أول رئيس لها، كما أسهم في تأسيس مجتمع أفلام شكسبير وأعاد تأسيس نادي الأشباح ليصبح واحدًا من أشهر أعضاءه..

هذا هو أهم ما يجب أن تعرفه عن الرجل، أما عن الذي سيفعله في ملجأ القلب المقدس، فهذا ما سيحدث في الصفحات القادمة *..

وصل (هاري برايس) في صباح اليوم التالي حاملاً معداته ومذكراته التي يسجل فيها كل شيء، ومع وصوله تردد السؤال بقوة في أذهان الكل..

هل يمنحهم (هاري برايس) تفسيرًا لكل ما يحدث؟

هل؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هكذا وقف (هاري برايس) يتشمم الهواء بحثًا عن أشباح، فلم يجد..

قامته الفارعة وشعره القصير غزاه الشيب وانتصر منذ زمن.. وعيناه لا تزالان تحملان نظرة شاب اعتاد البحث عن الشهرة والعثور عليها.. واليوم سيحصل على المزيد..

سأل (فيسك) بنبرات هادئة:

كل ما ذكر عن الرجل حقيقي إلا ما يحدث في قصتنا هذه..

و الآن بعد أن لخصت لي كل ما حدث.. أين الفتاة (جيني)؟

فأجابه (فيسك) بإرهاق وهو الذي لم ينم طيلة الليل: في غيبوبة عميقة.. وضعتها في أحد الغرف ووضعت حراسة على باب الغرفة..

يجب أن أفحصها..

كيف؟.. إنها في غيبوبة وأنت لست طبيبًا..

فابتسم (هاري) بثقة، وأجاب:

إنني لن أفحصها بحثًا عن مرض ما.. إنني سأفحصها لأتأكد أنها هي.. هي..

احتاج عقل (فيسك) المنهك بضع لحظات ليدرك ما يعنيه، قبل أن يهزّ رأسه في استسلام، قائلاً: كما تشاء.. سآخذك إليها وأتعشم ان تمنحنا أجوبة..

و في اللحظة التي قاده فيها إلى غرفة (جيني) كان (كونتز) لا يزال يرتجف كالقطط في غرفته، وقد وقف أمامه (شميدت) ينظر له في امتعاض، قائلاً: - كف عن هذا.. ألم تر جثثًا من قبل؟.. لقد خرجنا من الحرب العالمية الثانية بحق السماء..

فأجابه (كونتز) هامسًا في انفعال:

أنت لم تر النظرة في عينيها قبل أن تموت.. لقد كانت نظرة امتنان.. امتنان يا رجل..

عقد (شميدت) حاجبيه في ضيق ولم يجب.. فواصل (كونتز): أخبرتني أن (بيتر) هنا.. هو من فعل فيها هذا..

و ما الذي ستفعله إذن؟

فهبّ (كونتز) واقفًا، ليصيح:

سأغادر.. اليوم سأغادر.. لن أظل هنا بعد ما حدث..

حقًا؟.. وأتظنهم سيسمحون لك بهذا؟.. كلنا سجناء هذا المكان إلى أن ينتهي ما يحدث..

ماذا؟!

فربّت (شميدت) على كتفه، وقال في هدوء:

إننا في الجحيم يا بني.. ولا أحد يخرج من الجحيم دون أن يتذوق قطعة منه..

ثم غادر الغرفة تاركًا (كونتز) ذاهلاً لا يزال يرتجف هلعًا.. أما (ايمانويل) فكانت ترمق الأطفال الذي اكتظوا في قاعة الطعام وهي تدخن..

لا أحد يأكل ولا رغبة لأحد في طعام هذا الصباح..

عرفت الكثير وحتى مع عدم اهتمامها الفطري بما يحدث على الكوكب من حولها، لم تملك نفسها من التوتر فالتدخين فالتفكير فالمزيد من التوتر..

(مارثا) العجوز ماتت.. إنها لن تصدق القصة السخيفة عن رحيلها في قلب الليل.. و(ميراندا) قبضوا عليها لأنها تعمل مع الألمان.. والطفلة (جيني) عادت حاملة معها المزيد من الغموض..

و لا أحد يملك إجابة لأي سؤال، فقط سيستمر هذا الوضع إلى أن ينتهي فجأة كما بدأ فجأة.. كل ما تغير هو أنها ستقوم بعملها وعمل (ميراندا) إلا أن تثبت براءتها أو ينفذ فيها حكم الإعدام بتهمة التجسس!

الواقع أنها لو رأت (بيتر بيشوب) الآن لخنقته بيديها، فهو السبب في كل ما حدث ويحدث..

لكن أين هو (بيتر بيشوب)؟.. أين؟!

المزيد من السجائر.. المزيد من التوتر.. المزيد من التفكير الذي لا طائل له..

و في المطبخ كان (مارك) و(بيرك) يعملان لكنهما لم يغنيا كعادتهما..

نعم أطلقوا سراحهما لأنه لم يعد هناك مبرر لإبقائهما خاصة بعد أن دفعت (مارثا) ثمن برائتهما، لكنهما هنا رغم إرادتهما فالقضية لم تغلق بعد.. لهذا غلفهما الصمت بعباءته وهما يوزعان الطعام في أطباق ستعود كما هي بعد قليل، حتى قرر (مارك) أن يقول فجأة: لنهرب من هنا..

فأجابه (بيرك) في دهشة:

ماذا تقول؟.. لماذا؟

لم أعد أطيق البقاء هنا.. لنهرب ولنترك هذا كله إلى الأبد..

لقد خرجنا من السجن لتونا، فلماذا تسعى إليه مجددًا..

فانفجر (مارك):

لأن السجن أفضل من هنا بمراحل.. لأنني لن أقضي حياتي أعمل في ملجأ يقتل من يعملون فيه بهذه الصورة.. لأنني لن أنتظر أن يقبض عليّ كلما أرادوا العثور على مشتبه فيه..

لكن أنـ..

أنت طهوت معي جسد (بارتريدج).. تلك الشمطاء تحولت إلى وجبة تغلي في قدرونا، ما الذي تنتظره أكثر من هذا..

بحث (بيرك) عن إجابة، فلم يجد.. فقط قال:

و ماذا عن الأطفال؟.. ما الذي سيحدث لهم؟

لترحمهم السماء فنحن لا نملك لهم شيئًا..

و في هذا كان محقًا.. فالأطفال كانوا ينتظرون الأسوأ خاصة بعد أن رأوا (جيني) في الصورة التي عادت بها.. قبلها كان كل ما يحدث خاص بالكبار فحسب، وهذا كان يمنحهم نوعًا زائفًا من الإطمئنان لكنه كان يكفيهم.. أمّا الآن فكل شيء قابل للحدوث..

في البداية كان خوفهم من إغلاق الملجأ وما الذي سيحدث لهم بعدها، أما الآن فخوفهم مما سيحدث لهم داخل الملجأ!

و كانت الفتاة (لوريل) بالضمادة على أنفها، ترمق صديقتها (سارة) في ثبات، كأنها تنتظر منها شيئًا ما، لتصيح هذه الأخيرة بعصبية: - ماذا؟.. أنا لا أعرف شيئًا..

فسألتها (لوريل) بصوتها المضحك نوعًا ما:

ما الذي أصاب (جيني) إذن؟

قلت لك لا أعرف.. إنها لم تخبرني شيئًا لم تخبرك به..

و لا تعرفين حتى إلى أين ذهبت ولماذا اختفت طيلة هذه الفترة؟

لا.. ولو كررت هذا السؤال سأعيد تهشيم أنفك..

صدمت (لوريل) بردها، ولاذت بالصمت لتسيل دموع الخوف والحيرة على وجهها، لتشعر (سارة) بالذنب.. هكذا أحاطتها بذراعها لتحتضنها، وهمست في أذنها: سامحيني.. أنا لا أعرف شيئًا ولا أفهم لماذا حدث ما حدث..

أنا خائفة..

و أنا أيضًا.. لكني أعدك ألا أترك مكروهًا يصيبك..

ثم غلبها التأثر فسالت دموعها هي أيضًا لتبلل شعر (لوريل).. وفي أعماقها تساءلت ساخرة من نفسها، كيف ستحميها وهي عاجز عن حماية نفسها؟؟

هكذا كان الوضع في الملجأ في ذلك الصباح الذي وصل فيه (هاري برايس) ليبحث عن (بيتر بيشوب)، فهل يجده؟!

أمّا الآن فنعد إلى الليلة الماضية لنجيب على السؤال الذي تنتظر إجابته..

ما الذي حدث لـ (جوزيف)؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنت لن تقتل رجلاً إلا تحت ظروف معينة..

أعرف أن هذا مؤسف وأنه لولا العاقبة لصار العالم أجمل بقليل، لكنك لن تقتل رجلاً إلا تحت ظروف معينة، ومن هذه الظروف هي أنه يبغي قتلك!

هنا يتحول الأمر إلى رهان واضح.. حياتك أو حياته.. هنا يصبح القرار حتميًا ويتحول السؤال إلى من سيبقى حيًا؟

تذكر الآن أن (جوزيف) خرج لتوه من صراع قاس.. أنه مصاب والضمادات على جروح بطنه وكتفه لا تزال دافئة بدماءه.. تذكر أنه بمفرده وأن أمامه غريمه (جاك) وثلاث رجال يرتدون القبضات المعدنية على أيديهم، ويعتنقون فكرة قتله في رؤوسهم..

تذكر أيضًا أنهم أيرلنديون لا ينسون الإساءة ولا يغفرون بسهولة.. وحين يصابون بالغضب يتحولون إلى شياطين بشرية لا يوقفها إلا الدم..

ثم تذكر أخيرًا أن (جوزيف) فقد سلاحه!

هكذا يبدو أن الأمر قد انتهى قبل أن يبدأ، لكنك حين تقضي لياليك تقاتل من أجل حفنة من الجنيهات، لن تقبل أن يقتلوك بسهولة أبدًا..

يقول (جاك) وهو يشهر مخالب يده المعدنية:

الليلة لن يمنعك عني أحد..

فينظر (جوزيف) لمن معه ولسان حاله يقول (لو كنت بمفردك لما تمتعت بهذا القدر من الشجاعة).. وهي رسالة يستقبلها (جاك) ليقول: اتل صلاتك الأخيرة يا رجل.. فالليلة ستموت..

لكن (جوزيف) لم ينتظر.. بل هجم!

و وقفت أنا أرمق ذاهلاً هذا الرجل الذي لم يتردد لحظة وهو يهجم على أربع رجال مسلحين، بل أنني أقسم أنهم تراجعوا مدهوشين للحظة، قبل أن يردوا الهجوم لتبدأ المعركة..

أكره ألا أصف لك الصراع، لكني أكره أيضًا وصف ما حدث لـ (جوزيف) تفصيليًا.. نعم الرجل شجاع وذو خبرة، لكنه يواجه أربعة رجال والكثرة تغلب الشجاعة في كل زمان ومكان..

نعم.. هو هشم أنف (جاك) وأصاب عين واحد ممن معه، لكنهم أعادوا تشكيل ملامحه وحطموا ضلعين من ضلوعه ومزق (جاك) من لحمه ما تمكن من تمزيقه، حتى انتهى به الأمر على ركبتيه ينزف وقد تورمت عيناه لدرجة أعجزته عن الرؤية بوضوح، وقد وقف (جاك) أمامه يمسك بأنفه غاضبًا، يصيح: كف عن المقاومة أيها الثور الأحمق..

ثم رفع يده ذات المخالب، مردفًا ورجاله يقفون من وراءه ينزفون في كراهية: و تقبل مصيرك بلا مقاومة..

هنا كدت أتجسد فعليًا لأتدخل، لولا أنني أخذت أذكر نفسي طيلة الوقت أنني هنا طالبًا القصاص لا لتغيير الماضي، ثم إن دوي تلك الرصاصة غيّر كل شيء فجأة!

في اللحظة الأولى سمعنا كلنا دوي الرصاصة، وفي اللحظة الثانية خرجت الدماء من صدغ (جاك) الذي بدت عليه الدهشة أكثر من الألم، قبل أن يهوي وسط رجاله الذين أصابهم الذعر وهم يلتفتون ليواجهوا فوهة مسدس الأنيق الذي وقف هادئًا يقول: عمتم مساءً أيها السادة..

ثم تردد صوت ثلاث رصاصات أخرى ليسقط الرجال الثلاثة دون أن ينبسوا ببنت شفة.. فقط رمقهم (جوزيف) بعينين زائغتين، قبل أن يهوي جوارهم فاقد الوعي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(15)

و حين استيقظ (جوزيف) وجد نفسه لأول مرة في حياته في منزل الأنيق ممددًا على فراشه الوثير..

كنت أقف أنا جوار فراشه دون أن يشعر بي أحد، بينما جلس الأنيق قبالته، يحتسي الشراب، ويلقي بالأخشاب الجافة في المدفأة.. وحين أدرك (جوزيف) أين هو بدت عليه الدهشة، قبل أن ترسل جروحه الألم في أعصابه، فتأوه بقوة ليبتسم الأنيق قائلاً: لا تتحرك الآن.. لقد ضمدت جراحك لكنها ستعاود النزف لو تحركت..

هكذا عاد (جوزيف) يسترخي في الفراش، وإن سدد نظرة امتنان إلى الأنيق، استقبلها هذا الأخير بهدوء قائلاً: لا تقلق.. ما فعلته كان لي كما هو لك.. ثم أنني توقعته.. فمن هم مثل (جاك) لا يغفرون بسهولة..

هزّ (جوزيف) رأسه في صمت عاد ليغلف المكان، قبل أن يقول الأنيق شاردًا: أتعرف أنها المرة الأولى التي أحظى فيها بالصحبة في منزلي هذا؟.. لا عائلة لا أصدقاء.. حياتنا قاسية يا فتى وأنت في غنى من أن أشرح لك هذا..

ثم إنه أشار إلى أثاث حجرته الفاخر، ليردف:

كل قطعة هنا جمعتها بعناية فائقة.. كل قطعة هنا تستحق ثمنها وربما أكثر.. هذا هو ما تبقى لي يا (جوزيف) كومة من الأخشاب والفخار.. عدا هذا.. لا شيء.. حتى ذكرياتي فقدتها منذ أن بدأت هذا العمل.. لا أعرف إلا دائرة القتال وأموال المراهنين.. عدا ذلك.. لا شيء!

أصغى له (جوزيف) بشبح ابستامة على فمه، وقد بدا عليه أنه أول مرة يعرف فيها أي شيء عن الأنيق العجوز الذي ينظم له مبارازاته.. لكنه كان يدرك جيدًا أنه لولا إسرافه في الشراب هذه الليلة لما كان بهذه الأريحية..

لكن لا.. لم يبتسم (جوزيف) لهذا السبب..

لابد أنه يبتسم لشكوى الأنيق أنه لا يملك ذكرياتًا.. إنه يعتبره محظوظًا لا يدرك حظه.. فلـ (جوزيف) كم من الذكريات أكبر من أن ينساه مهما حاول هذا أو تمناه.. ثم يأتي الأنيق رائق البال ليخبره أنه لا يملك شيئًا..

رجل بلا ذكريات يشكو لرجل يهرب من ذاكرته.. وأنا بينهما أصغي وأتساءل..

من منهما الأكثر حظًا؟

من؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نعود إلى أحداث الملجأ.. تلك الأحداث التي عرفتها فيما بعد والتي تصل إليك أنت بالترتيب من باب الرفاهية..

و المشهد هذه المرة مسل ربما لأول مرة في هذا الملجأ منذ أن بدأت قصتنا.. فنحن الآن في غرفة الفتاة (جيني) التي رقدت ساكنة في غيبوبتها العميقة على الفراش، قد أخذ (هاري برايس) في تحسس الجدران حولها وهو يتظاهر أنه يصغي لشيء ما، قبل أن يخرج أنبوبًا مغلقًا من جيب معطفه.. فتحه وملأه بهواء الغرفة، قبل أن يغلقه في عناية ليعلن: - هذا المكان غير طبيعي.. أشعر بتواجد ما..

فيردد (فيسك) من وراءه في حيرة:

تواجد؟!

نعم.. لكنني أكثر حكمة من أقفز إلى هذا الإستنتاج مباشرة.. يجب أن أبدأ فحوصاتي أولاً قبل أن أعلن عن أي نتيجة..

فيقول (فيسك) في سأم:

خذ وقتك ولو احتجت لي سوف..

لن أحتاج لك فلست خبيرًا مثلي.. فقط تأكد من أنني لن أتعرض لإزعاج.. آه.. وبعض القهوة المنعشة لن تضر، أليس كذلك؟

هكذا تحول المحقق (فيسك) إلى الساعي (فيسك) بمعجزة من معجزات (هاري برايس)، لكنه كان أضعف من أن يقاوم، فهزّ رأسه موافقًا واتجه للخروج من الغرفة، ليستوقفه (برايس) قائلاً: سأحتاج لعينات من الفتاة.. دماء.. لعاب.. خصلة شعر.. أتمانع في هذا؟

فأشار له (فيسك) بما معناه أن اقتلها لو أردت، وأسرع خارجًا قبل أن يفقد أعصابه، ليجد أحد رجاله في انتظاره يتساءل: أتوصل إلى شيء ما؟

نعم.. يقول أن هناك تواجد!

ماذا؟!

لا تشغل بالك بهذه الأمور فأنت لست خبيرًا.. أخبرني.. أين (ميراندا)؟

فأجابه الرجل:

جئنا بها إلى هنا كما طلبت..

و ماذا عن الألماني؟

في غرفة منفصلة كما طلبت.. هل ستبدأ الإستجواب الآن أم ستحظى ببعض النوم أولاً؟

فرك (فيسك) عينيه في إرهاق، وهو يقول ساخرًا: نوم.. لا نوم يا عزيزي حتى ينتهي هذا كله..

و صمت للحظة قبل أن يردف:

- لو كان لهذا نهاية!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و في هذا الوقت بالذات كان (جونسون) الصغير يجوب ممرات الطابق الأول الخاوية، متجهًا إلى دورة المياه، ومثانته تعد عدها التنازلي قبل لحظة الإنفجار..

لم يجرؤ (جونسون) على تناول العشاء ليلة الأمس بعد أن تذوق مسز (بارتريدج)، لذا اكتفى بشرب أكبر كمية من المياه، ليملأ بها معدته الصغيرة، وها هو الآن في طريقه للتخلص من هذا الحمل، لا يصاحبه سوى صوت خطواته على الأرض الباردة..

لم يكن هناك أحد هناك لحسن حظه، لذا أسرع داخلاً وأحكم إغلاق الباب وراءه، ثم بدأ ما أتى من أجله وهو يصفر في استمتاع..

على الجدران من حوله كتب رفاقه آراءهم في الحياة وفي الملجأ وفي مسز (بارتريدج).. تلك الآراء التي لو قرأتها هذه الأخيرة، لأجبرتهم على استخدام الفناء، لكنها لم تعد معهم في هذه الحياة.. الواقع أنه حتى في حياتها لم تكن تجرؤ على دخول دورة مياه الفتيان، بل كانت تصفه بذلك المكان ذو الرائحة الشيطانية، والذي يثبت وجهة نظرها في أن كل الأطفال قذرين..

هكذا تحول هذا المكان – بفضل رائحته – إلى أرض الحرية التي يعلن فيها الكل رأيه في صراحة!

أهلا بكم في الجحيم!

الموت لمسز بارتريدج البدينة!

المجد لبيتر بيشوب!

أسطر تلخص ما يحدث في ملجأ القلب المقدس بدقة مخيفة، كتبتها أيدي طفولية على جدران دورة المياه، ولن يفكر أحد في إعادة طلاء الجدران قريبًا، لتظل هذه الحقائق موجودة إلى الأبد..

هكذا انتهى (جونسون) ثم وقف يرمق الجدران مبتسمًا، قبل أن يقرر أنه لا بأس أن يضيف لها المزيد، فأخرج قلمًا من جيب بنطاله الخلفي، وكتم أنفاسه ليبدأ في الكتابة، وقد توقف عن الصفير.. نعم.. توقف عن الصفير لكنه ظل يسمعه قادمًا من هنا..

من دورة المياه!

كان هذا أول ما انتبه له، فتوقف عن الكتابة وتلفت حوله في حيرة بحثًا عن مصدر الصفير دون أن يجده..

أيوجد أحد هنا؟

هكذا تساءل بصوته الطفولي، فتوقف الصفير على الفور.. وهكذا بدأت حيرته في التحول إلى خوف.. هكذا بدأت مثانته تتلوى من جديد على الرغم من أنه أفرغها لتوه..

تسمر في مكانه للحظات وهو يرهف السمع، ثم كرر: أيوجد أحد هنا؟

و مرة أخرى لم يجبه أحد.. والمشكلة أنه لم يكن هناك أحد أمامه.. المشكلة أنه لو أجابه أحد وهو يرى بنفسه أنه لايوجد سواه في المكان، لمات هلعًا.. لكنه واثق أيضًا أنه سمع الصفير المنغوم قادمًا من هنا..

لذا قرر (جونسون) الصغير تجاهل نداء الطبيعة على أن يلبيه لاحقًا، واتجه إلى باب دورة المياه عازمًا على الخروج، ليجد أن الباب لا يفتح!

أدار المقبض فلم يفتح.. جذبه بقوة فلم يفتح.. صاح فيه حانقًا خائفًا، فلم يستجب..

و الآن أدرك (جونسون) الصغير أنه حبيس هذا المكان.. أدرك هذا في اللحظة التي ارتفع فيها الصفير مجددًا!

كان الصفير يردد ذات اللحن الذي كان ينشده، وكان قادمًا من حوله دون أن يرى مصدره على التحديد، فلم تحتمل أعصابه أكثر من هذا، ليبدأ في ركل باب دورة المياه صارخًا: أخرجووووني من هناااااا...

لكن دورة المياه برائحتها الشيطانة كانت أبعد من أن يسمعه أحد..

أخرجووووووووووووووووووونيييييييييييييييييي....

يصرخ بها حتى يبح صوته، قبل أن يدرك أخيرًا أنه يضيع وقته، وأن السبيل الوحيد للخروج من هنا، هو أن تنادي الطبيعة أحدهم، ليأتي ويفتح الباب من الخارج..

سيكون عليه الإنتظار واحتمال الرائحة، لكن المشكلة الحقيقية هي ذلك الصفير المنغوم الذي يتعالى من حوله وكأن.. وكأن..

و كأن صاحبه يقترب!

مثانته الآن تصرخ بعد تنازلي جديد... ١٠.. ٩.. ٨..

صوت الصفير يتعالى والجدران ترده في طنين مؤلم..

٧.. ٦... ٥...

يحاول مع الباب مرة أخيرة دون أن يشعر بدموعه التي بدأت تسيل على وجهه لفرط هلعه..

٤.. ٣.. ٢..

- أخرجووووووووووووووووووووووووووووو..

١..

و يعود الصمت ليغلف المكان الذي كتب أحدهم على جدرانه ذات يوم.. المجد لبيتر بيشوب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(16)

و على عكس ما توقع (فيسك) كانت (ميراند) ثابتة الجنان حقًا..

كانت تنظر له في ثبات وقد خلت نظراتها من أي إحساس بالذنب، وقد جلست أمامه معتدلة تنتظر أن يمطرها بأسئلته، فلم يبخل عليها بالبداية: أتعرفين عاقبة العمل مع الألمان يا آنسة (ميراندا)؟

نعم أعرف..

إذن.. أنت تعرفين ما ينتظرك؟

لا.. فأنا لا أعمل مع الألمان..

فيبتسم (فيسك) ساخرًا وهو يفرك عينيه:

حقًا.. حسبما أعرف رجالي عثروا عليك في شقة أحدهم..

فأجابته (ميراندا) في إصرار:

أنا لا أعمل مع الألمان بالمعنى الذي تقصده..

رمقها (فيسك) في ثبات منتظرًا المزيد، ولما واصلت (ميراند) صمتها، قال: آنسة (ميراندا).. نحن خرجنا من حرب مع الألمان لازلت ترين آثارها في كل مكان.. ثم حدثت جرائم في الملجأ الذي تعملين فيه.. ثم عثرنا عليك تتسلين إلى منزل ألماني.. صدقيني.. نحن لا نحتاج لأكثر من هذا لنوجه لك تهمة الخيانة ولننفذ حكم الإعدام ، لذا إما أن تتعاوني معنا أو..

و المشكلة أنه كان محقًا فيما قاله، فأجابت (ميراندا): - لست خائنة.. أنا أعمل كمترجمة للسيد (هانز).. أساعده على ترجمة بعض الدراسات..

- لكنك زعمت أنك لا تعرفين الألمانية من قبل..

- كنت أكذب، لكني أخبرك الحقيقة الآن.. أنا أعمل كمترجمة فحسب..

- وما الذي كنت تترجميه له بالضبط؟

بدا التردد على (ميراندا)، فقال (فيسك):

لاحظي أننا قبضنا على السيد (هانز) وأن استجوابه لن يكون بهذا التفهم والبساطة، لذا أنصحك بقول الحقيقة..

حسمت (ميراندا) أمرها، وأجابت:

أبحاث عن طقوس بعض القبائل الإفريقية..

ماذا؟!

صاح بها (فيسك) بدهشة حقيقية، وأردف:

و ما الذي يفعله ألماني بأبحاث عن القبائل الإفريقية في لندن؟؟

عاد التردد واضحًا على (ميراندا)، حتى اقترح أحد رجال (فيسك): ربما كانت شفرة يستخدمها للاتصال و..

فقاطعته (ميراندا) بسأم:

لم تكن شفرة.. إنها الأبحاث التي بدأها هو و.. و..

و من؟!

و السيد (جيمس بيشوب).. والد (بيتر بيشوب)..

!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و حين قرر (جوزيف) الرحيل أخيرًا، كان الأنيق يقف ليودعه وهو يكرر: - لازلت أرى أنه يجب أن تمر على المستشفى أولاً.. جراحك قابلة للتلوث وما فعلته معها لا يكفي..

لكن (جوزيف) أخذ يهز رأسه بلامعنى، قبل أن يتحرك وأنا من خلفه أتساءل في حيرة عن قدرة احتمال هذا الرجل، والتي مكنته من مغادرة الفراش..

لكني كنت سعيدًا أننا سنعود إلى الملجأ أخيرًا، فصحيح أنني هنا من أجل (جوزيف) إلا أن أحداث الملجأ أشد إثارة من ألا أتابعها، وما حدث ليلة أمس – وهو ما عرفته متأخرًا كأغلب ما يحدث من حولي – أثبت هذا حقًا..

لم يحدث شيء في رحلة العودة لحسن الحظ.. وحتى الدخول إلى الملجأ كان هينًا، فلم يهتم أحد بخروج (جوزيف) ليعترض على عودته.. وحين انتهى به الأمر أخيرًا على فراشه، قررت أن أستغل الوقت في معرفة ما فاتني للتتوالى عليّ المفاجآت..

(مارثا) ماتت.. (جيني) عادت.. (هاري برايس) هنا.. (بيتر بيشوب) لا يزال ينشر الهلع والتساؤلات وحتى الآن لا إجابة على أي شيء..

كنت قد قرأت وسمعت عن (هاري برايس) من قبل، لذا لم أقاوم أن أجده هنا ولا أراقبه عن كثب، فاتجهت إلى غرفة (جيني) لأجدها في غيبوبتها، وإلى جوارها الوغد (هاري برايس) يمارس ألاعيبه..

أقول الوغد لأنه كان يجلس جوارها يدخن غليونه في هدوء تام، وهو يكتب في أوراقه التالي: أنا الآن أسيطر على مركز الطاقة في عقلها.. الأمر شاق ومجهد لكنها ليست مرتي الأولى.. يمكنني الآن أن أفهم لماذا حدث لها ما حدث.. فالطاقة أغلبها سلبية المصدر وبالقوة الكافية لفتح الثغرة بينها وبين عالم الأرواح..

ثم يحتسي رشفة قهوة، ويواصل:

سأعبر الآن عبر الثغرة وسأحاول الاتصال بالروح التي تسكن جسدها.. وسأعمل على طردها معرضًا حياتي للخطر من أجل هذه الفتاة المسكينة..

يتجشأ ثم يرمق خطه الأنيق على الأوراق في رضا، قبل أن يطويها ويدسها في حقيبته.. ينظر إلى ساعته في ملل، قبل أن يقول لنفسه: ربما لو أخذت جولة في المكان لاستيقظت من تلقاء نفسها..

ثم يخرج (هاري برايس) العظيم من الغرفة، وهو يأمر أحد رجال (فيسك) بعدم السماح لأحد بالدخول على (جيني) حتى ولو كان (فيسك) شخصيًا..

هذا هو إذن النصاب العجوز الذي سيمنحنا إجابات على أسئلتنا!

قرر بدء جولته من الفناء، فجذبه المغناطيس الذي يجذب العجائز لبعضهم البعض إلى (شميدت) الذي جلس صامتًا يراقب الأطفال المنتشرين من حوله.. لذا اقترب منه بخطوات واثقة أكثر من اللازم، لتستقبله نظرة (شميدت) التي تقول (كف عن هذا العبث)، وصوته الهادئ يتساءل: أنت (هاري برايس) إذن؟

هو أنا.. وأنت؟

أحمق يعمل هنا.. والآن.. هل ستبدأ في استجوابي أنت الآخر؟

ربما..

ارفع صوتك فلم تعد أذناي تصغيان كما مضى.. لماذا لا تجلس؟

ففكر (هاري برايس) أنه لا مانع أن يجلس جوار أحد العامة طالما لن يراه أحد.. فقط أخرج منديله الحريري أولاً ليجلس عليه، ثم أخذ يرمق (شميدت) بنظرة متفحصة دقيقة، أجبرت (شميدت) على الإبتسام، وهو يقول: أأذكرك بشبح رأيته من قبل؟

فلم يبتسم (هاري)، بل قال:

أنت تظن أنني أحمق وهذا حقك.. لن تكون أول من يفعلها.. لكني لست هنا لأثبت نفسي، بل لأساعدكم على حل هذا اللغز..

لوح (شميدت) بيده، وقال:

و من قال أننا نبحث عن الحل؟.. لقد أخبرتهم به وهم لا يصدقون.. الطفل (بيتر بيشوب) هنا وهو من يفعل هذا كله..

هو من قتل مسز (بارتريدج) و(مارثا)؟ وهو من أشعل الحريق؟ وهو السبب فيما أصاب الفتاة (جيني)؟؟. كيف؟!.. لايوجد طفل طبيعي قادر على شيء واحد مما قلت..

ابتسم (شميدت)، وقال:

و من قال أنه طفل طبيعي؟.. حسن.. لنقل أنه كان طبيعيًا ذات يوم، لكن ليس بعد ما فعلناه به..

شحذت كلماته اهتمام (هاري) الذي تساءل في اهتمام: ما الذي فعلتوه؟ ومن أنتم بالضبط؟؟

تساءل فمنحه (شميدت) نظرة طويلة صامتة، قبل أن يجيب أخيرًا: سأحكي لك كل شيء.. لا أحسب أنني سأخرج من الملجأ حيًا، وأكره أن يموت السر معي.. لذا سأخبرك بكل شيء.. فقط عليك أن تعدني بشيء واحد أولاً..

فقال (هاري) على الفور:

أي شيء..

عظيم.. سيكون عليك أن تتأكد من دفني خارج الملجأ في حالة وفاتي.. خارج لندن كلها.. اختر مكانًا لا يعرفه سواك ولا تخبر به أحد..

بدت الدهشة على (هاري)، ليبتسم (شميدت) مردفًا: الآن أنت من يظنني أحمقًا.. لكن لا بأس.. ربما لو حكيت لك لفهمت أكثر، لكن احذر.. هناك معرفة عليك أن تدفع ثمنها.. أنا دفعت الثمن ولازلت.. فهل أنت مستعد؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(17)

و لولا صرخة (بيرك) لفهمنا كل شيء..

كان (شميدت) قد قرر أن يفتح خزينة أسراره أخيرًا، وكنا على بعد دقائق معدودة من فهم أي شيء مما يحدث هنا، لولا أن ارتفعت صرخة (بيرك) فجأة لتتردد في المكان بألف صدى..

هكذا هبّ (شميدت) واقفًا وهو يشير إلى المبنى صائحًا:

إنه هنا.. هنا..

ثم أسرع و(هاري) من وراءه إلى الداخل، لأسبقهما أنا إلى المطبخ حيث تجمع رجال (فيسك) أمامه، واثنان منهما يكبلان حركة (بيرك) الذي واصل صراخه الحزين، وهو يحاول التملص منهما ليعود إلى داخل المطبخ..

و تجاوزت أنا الجمع إلى الداخل لأجد ما توقعته ولم أتمناه..

كان (مارك) هناك.. كان مثبتًا إلى الجدار في وضع الوقوف وقد غرس أحدهم في جسده كل الأدوات الحادة الموجودة في المطبخ.. أسفل قدميه تجمعت دماءه، وعلى وجهه كانت تلك النظرة الرهيبة.. نظرة من رأى وفهم بعد فوات الأوان!

هكذا يمكنك أن تتخيل ما حدث.. دخل (بيرك) إلى المطبخ ليرى نفسه يحدق في جثة توأمه ذاهلاً كأنه ينظر في مرآة المستقبل..

هكذا سيبدو لو مات هو.. هكذا فقد أخيه وصديقه الوحيد في المكان..

مالاارك....

ينتزع (بيرك) الكلمة أخيرًا من وسط صراخه، لكن رجال (فيسك) لا يطلقون سراحه، بل يتراجعون به مفسحين الطريق لـ (فيسك) البائس، الذي تقدم من الجثة ونظرة حيرة مؤسفة تطل من عينيه..

مالاارك!

لكن (مارك) لا يجيب.. لقد مات.. قتله (بيتر بيشوب)!

مالاااااااااااااااااااااااااااااااااارك!

ثم يسقط (بيرك) فاقد الوعي أخيرًا ليرحمنا من صراخه.. وليتركه رجال (فيسك) أخيرًا..

يحاول بعض الأطفال الإقتراب والتساؤل واضح عليهم وإن كانوا يعرفون الإجابة سلفًا، فيشير (فيسك) لرجاله كي يبعدوهم.. ثم يقترب من (مارك) ويمد يده ليغلق له عيناه إلى الأبد..

و حين يصل (هاري برايس) أخيرًا، يتوقف جوار (فيسك) والصدمة واضحة عليه، وقد أدرك أخيرًا أن عبثه لن يجدي هنا.. خاصة حين يشير (فيسك) إلى الجثة ليقول: - والآن.. ألديك أي تفسير لما يحدث هنا؟

-!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكن السؤال ذاب في دوامة الغموض التي تعصف بالمكان.. لا إجابات في ملجأ القلب المقدس..

فقط يتساقط القتلى بلا سبب أو تفسير..

حتى (فيسك) أعلن أن إضرابه عن النوم لن يجدي الآن، فدخل إلى أحد الغرف ليحظى بساعتين من النوم، تاركًا الألماني (هانز) في الغرفة التي سجنه فيها يمارس نشاطًا غريبًا حقًا..

لقد كان يكتب بدمه على الجدران!!

هشم طبقه الذي تركوا له فيه وجبه تمنعه من الموت جوعًا، واستخدم أحد القطع ليجرح بطن كفه الأيسر، ثم وبدمائه بدأ يكتب كلمات غير مفهومة على الجدار.. كلمات لم أميز لغتها وأنا أقف معه في الغرفة، أراقبه في حيرة لم تفارقني منذ وصلت إلى هذا الزمن..

يبدو الأمر كأنها طقوس لتأمين المكان من شيء ما، لكن هل سيحتمل هذا العجوز فقدان كل هذه الدماء؟؟

أم أنه وإذ يعرض حياته لهذا الخطر يوفر على نفسه خطرًا أشد هولاً؟!

كالعادة.. لن أعرف الآن..

لذا فارقته واتجهت إلى غرفة (شميدت)، لأجده جالسًا والصدمة واضحة عليه، وقد وقف (هاري برايس) أمامه يتوسل: لقد وعدتك بتنفيذ مطلبك.. لماذا غيرت رأيك؟

لأنه هنا.. هنا.. وربما في هذه الغرفة بالذات.. ربما يصغي لنا الآن..

من هو؟

(بيتر بيشوب) أيها الأحمق!

فتنتقل نظرة الصدمة إلى وجه (هاري)، الذي يفكر لبرهة قبل أن يعلن أخيرًا: إذن... سأظل في الملجأ لأواصل عملي، ولو غيرت رأيك ستجدني..

ثم يخرج من الغرفة دون أن ينتظر ردًا، وأتبعه أنا منتظرًا خطوته التالية، ليفاجئني (هاري برايس) هذه المرة، إذ اتجه إلى أحد رجال (فيسك) ليقول: يجب أن نخرج الأطفال من هنا.. إننا نعرضهم للخطر..

فيجيبه الرجل:

هذا ليس قراري.. يمكنك أن تسأل السيد (فيسك) حين يستـ..

لا وقت لهذا العبث.. أيقظه واطلب منه سرعة التحرك وإلا سأحمله المسئولية كاملة..

لقد أمرني بعدم إيقاظه مهما كان السبب..

يعلنها الرجل ببرود، فيكاد (هاري) أن ينقض عليه ليهشم عنقه، لكنه يتماسك ليبتعد لاعنًا في سره اليوم الذي قرر فيه إدعاء أنه صائد أشباح..

اتجه إلى غرفة (جيني) ليجدها في فراشها ساكنة تمامًا، فمال عليها ليتحسس رأسها، مغمغمًا لنفسه: أرجوكي استيقظي.. أحتاج لبعض الإجابات وأتعشم أن تمنحيني بعضها..

و لما لم تمنحه ردًا لطلبه، جلس جوارها وأشعل غليونه وبدأ يفكر في عمق..

إنه لم يعتد على هذا كله.. القصة دائمًا مكررة.. منزل قديم تسمع فيه أصوات ويرى سكانه من يتحركون في الظلام، ليتلاشوا عند أول مواجهة..

هنا يأتي هو ليتشمم الهواء في أداء تمثيلي محفوظ، ثم يبدأ في فحص المكان بأجهزته التي لا قيمة لها، وبعض عدة أيام يعلن أن المنزل مسكون وأنه يجب أن يهدموه بحثًا عن جثث مدفونة في جدرانه، لو عثروا عليها لزادت شهرته، ولو لم يعثروا لأعلن أنه طهّر المكان، وأنه صالح لإعادة البناء فالعيش فيه من جديد..

هكذا القصة دائمًا بلا مخاطرات أو جثث أو دماء أو (بيتر بيشوب)!

أمّا هنا فالوضع مختلف تمامًا.. لن تجدي أجهزته ولا أداءه ولن يهدموا الملجأ فالجثث تملأ المكان دون الحاجة للبحث في الجدران..

و هو لم يعد شابًا ليعرض نفسه لكل هذا الضغط العصبي والنفسي، لكنه لا يمكنه التراجع إلا لو..

- نعم.. وجدتها!

هكذا يصيح فجأة في ظفر، ثم يردف:

سأخبرهم أنني في حاجة لمعدات أخرى غير متوافرة هنا.. سأسافر اليوم ولن أعود حتى ينتهي هذا كله..

و هي خطة بسيطة حقًا تجبرني على الإبتسام.. هكذا تعود الكرة إلى ملعب (فيسك) ولن يجرؤ أحد على لومه..

بسرعة أخذ (هاري) يجمع أوراقه، ويدسها في حقيبته، ثم ألقى بنظرة أخيرة على (جيني) هامسًا: وداعًا يا صغيرتي..

ثم أسرع ليخرج من الغرفة و.. و..

و فجأة توقف كمن انتبه إلى شيء ما، ليعود إلى الغرفة.. ليضع حقيبته على الأرض.. ليتجه إلى (جيني) وليبدأ في تفحص حركة صدرها مع التنفس..

لحظات ثم يبتسم ليهمس في أذنها:

صغيرتي.. أنا أعرف أنك مستيقظة.. لذا توقفي عن التمثيل..

لحظات أخرى لا يحدث فيها شيئًا، ثم وببطء وبتردد تفتح (جيني) عيناها!!

و على ملامح وجهها الصغير يتبدى الرعب، وهي تقول:

- (بيتر).. لقد عاد.. لقد ساعدته على العودة..

!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(18)

و مرة أخرى أضطر آسفًا لترك حدث مهم لآخر يبدو أكثر أهمية بالنسبة لمهمتي على الأقل..

ففي الفناء ارتفع صياح (كونتز) فجأة:

اتركه يا (جوزيف).. أنت تقتله..

لذا وكما رأيت وجدتني أسرع إلى الفناء أمامي قرب غرفة (جوزيف) الذي أمسك بـ (بيرك) من تلابيب ملابسه، وقد تحول وجه هذا الأخير إلى كومة من الكدمات التي تنزف بلا توقف، بينما (جوزيف) يكوّر قبضته مرة أخرى ليدفنها في معدته، ليتلوى (بيرك) ألمًا، وقد وقف (كونتز) جوارهما يصرخ ملتاعًا دون أن يجرؤ على التدخل..

يطوّح (بيرك) ساقه في محاولة للوصول لـ (جوزيف) الذي يمسك بها في الهواء، ثم يهم أن يهوي عليها بمرفقه ليهشمها، لولا أن يرتفع نداء (فيسك) الآمر فجأة: توقف وإلا..

فتلتقي كل الأعين على المسدس الذي سدد إلى رأس (جوزيف)، ويتحول المشهد إلى كادر ثابت لا يتنفس فيه أحد..

اتركه..

يقولها (فيسك) فيترك (جوزيف) ملابس (بيرك) الذي يهوي أرضًا ليشير له وهو يبكي بحرقة صارخًا: هو.. هو من قتل (مارك)..

تثير كلمته ذهول الجميع وغضب (جوزيف) الذي يكاد يهجم عليه ثانية، لولا أن صاح (فيسك): ماذا تقول؟

فيخرج (بيرك) من ملابسه قناع (جوزيف) المعدني وقد تلوث بدماء (مارك)، ليقول: عثرت على هذا.. هو من قتل أخي..

ما هذا بالضبط؟

انفجر (كونتز) بغتة:

لقد جن الجميع هنا.. جن الجميع..

اقترب (فيسك) من (بيرك) ليتناول منه القناع ولينظر إلى (جوزيف) في حيرة، ليردف (بيرك): رأيته يرتديه من قبل.. إنه له.. هو من قتل (مارك).. والآن سأقتله..

ثم ينقض فجأة على (جوزيف) بسكين مطبخ صغير، لكن (جوزيف) يركله في وجهه ليخرسة تمامًا، وليلقي به في غيبوبة عميقة، ثم يقف لينظر إلى (فيسك) في تحد وقد بدأت جراحه القديمة في النزيف، ليتغلب هذا الأخير على ذهوله بصعوبة، قبل أن يعلن أخيرًا: إياك أن تتحرك.. أنت مقبوض عليك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هكذا سجنوا (جوزيف) في أحد الغرف ووضعوا حراسة على باب غرفته، بينما بدأ (فيسك) ورجاله في تفتيش غرفته، ليعثر على كومة من النقود ورسائل الأنيق وبعض الضمادات الملوثة بالدماء، والمزيد من الأسئلة التي جعلت (فيسك) ينفجر صارخًا في ثورة: ما الذي يحدث هنا؟.. حتى مستشفى الأمراض العقلية لا تحمل هذا الكم من المخابيل..

فيحاول أحد رجاله تهدئته:

على الأقل عثرنا على القاتل..

حقًا.. ولماذا قتل (مارك)؟ وهل هو قاتل (بارتريدج) و(مارثا) أم لا؟.. وما سر هذه النقود وهذا القناع؟ وما علاقة هذا كله بـ (بيتر بيشوب)؟؟ هه.. أخبرني..

فيجيب الرجل بتردد:

لنستجوبه وسنـ..

ليقاطعه (فيسك) صارخًا:

كيف سنستجوبه وهو أخرس أبكم أيها الأحمق؟!!

ثم يخرج من الغرفة وأتبعه أنا إلى داخل الملجأ ثم إلى المطبخ حيث جلس (بيرك) يضمد جراح وجهه، والذي ما إن رأى (فيسك) حتى هبّ واقفًا: هو من قتل أخي وهو الـ..

اخرس.. لو نطقت بحرف دون أن أسألك سأجعلك تلحق بأخيك اليوم.. اجلس..

فجلس (بيرك) على الفور بينما وقف أمامه (فيسك) ناظرًا إليه في صرامة، ليقول: أين عثرت على القناع بالضبط؟

أسفل الموقد..

و كيف عرفت أنها دماء أخيك التي تلوثه؟

فانتبه (بيرك) إلى هذه النقطة لأول مرة، وبدت الحيرة في عينيه، فلم يمهله (فيسك): و لماذا لم تأت لي أولاً؟

لقد.. لقد قتل أخي..

و كنت ستقتله؟

فبحث (بيرك) عن رد لائق، ولم يجد.. فقط أخد ينظر إلى عيني (فيسك) المتقدتين بالغضب، حتى قال هذا الأخير: ستظل هنا ولن تتحرك من مكانك مهما كان السبب.. أتفهمني؟

نعم..

قالها ليستدير (فيسك) خارجًا من المكان ليلحق به رجله الذي قال: أرسلنا القناع إلى المعمل للتأكد من صاحب الدماء عليها..

عظيم.. أين وضعتم (جوزيف)؟

في أحد الغرف في الطابق الأول.. لكن لماذا؟ ألم تقل أنك لن تستجوبه..

اخرس واتبعني..

فتبعناه إلى حيث تركوا (جوزيف) مقيدًا إلى أحد المقاعد في غرفة محكمة الإغلاق، دون أن يحاول أحد تضميد جراحه، ليقف (فيسك) أمامه قائلاً: أنت تجيد قراءة حركة الشفاه.. أليس كذلك؟

فنظر له (جوزيف) بغضب ولم يحاول الإجابة، ليواصل (فيسك): لا بأس.. لكنك تجيد القراءة بدليل الرسائل التي عثرت عليها في غرفتك، لذا سأكتب على ورقة وستهز أنت رأسك بالإيجاب أو النفي..

و جلس أمامه ليخرج دفترًا صغيرًا من جيبه كتب على أحد صفحاته: - أنت قتلت (مارك)؟

ثم رفع الصفحة إلى عيني (جوزيف) الذي نظر لها لحظة بازدراء، ثم عاد ينظر إلى الأرض، ليصيح (فيسك) غاضبًا: نحن لا نلهو هنا..

ثم كتب:

- لو لم تساعدنا سأعتبر هذا اعترافًا وسنوجه لك تهمة القتل وسيتم إعدامك..

و رفع الصفحة إلى (جوزيف) ليقرأها، ثم كتب: - هذا القناع ملكك.. أليس كذلك؟

فهزّ (جوزيف) رأسه أن نعم.. ليكتب (فيسك) وقد انتبه إلى شيء ما: أتجيد الكتابة؟

ليهزّ (جوزيف) رأسه بالإيجاب ثانية، فأشار (فيسك) إلى رجله قائلاً: عظيم.. امنحه ورقة وقلمًا وحرر أحد ذراعيه.. أريده أن يكتب لي قصة حياته كاملة حتى أعود.. كما أريد تفسيرًا للجروح التي تملأ جسده والتي لا علاقة لها بعمله هنا كما هو واضح.. أتفهم؟

إلى أين ستذهب؟

سأعمل على ألا يسقط المزيد من القتلى هنا..

و صمت لحظة ليسيطر على انفعالاته، قبل أن يردف: - لو كان بإمكاني هذا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و كان (كونتز) يردد على (ايمانويل) التي أخذت تدخن في برود: - لقد سمعت عظام وجهه تتهشم.. لم أعرف أن (جوزيف) بهذه القوة من قبل.. لم أجرؤ حتى على إيقافه..

فتلوح (ايمانويل) بيدها دون أن تجيب، ليواصل: الكل فقد عقله ولم أعد أفهم شيئًا.. فقط أريد الخروج من هنا بأي ثمن..

يمكنك أن تحاول.. لكنك لو هربت سيعتبرون هذا اعترافًا منك أنك الفاعل..

و لو ظللت سيأتي دوري إن آجلاً أو عاجلاً.. لم أعد أطيق البقاء هنا..

نفثت (ايمانويل) الدخان من فمها إلى سماء الغرفة، وقالت: أين الأطفال؟.. لم أعتد هذا الهدوء هنا..

سجنهم (فيسك) في غرفهم.. الكل ممنوع من التجول حتى ينتهي الأمر..

ألم يعثروا على متهم مناسب؟

تقصدين (جوزيف)؟.. لكنك تعرفين أنه ليس هو..

من إذن؟.. شبح ذلك الطفل (بيتر)؟.. أتصدق هذه السخافات؟

ألديك تفسير أفضل؟

نعم.. (جوزيف)..

فكاد (كونتز) أن يجيب لولا أن ارتفعت طرقات هادئة على باب الغرفة، لترفع (ايمانويل) صوتها: ادخل.. إنه مفتوح..

ليدخل (هاري برايس) عليهما بقامته المديدة ونظراته الحادة، التي أجبرت (كونتز) على الوقوف متسائلاً: أتوصلت إلى شيء؟

اسمح لي.. أريد أن أحدث الآنسة بمفردها..

لماذا؟؟

يتساءل (كونتز) وتبدو الحيرة على (ايمانويل) التي تتوقف عن التدخين، لكن (هاري) يكرر: اسمح لي.. لن يطول الأمر..

فينظر (كونتز) إلى (ايمانويل) بتردد، قبل أن يخرج من الغرفة، ليغلق (هاري) الباب من وراءه، وليشير إلى المقعد الخاوي، قائلاً: أتسميحن لي؟

بالطبع..

فجلس (هاري) بهدوء متعمد، ثم نظر إلى عيني (ايمانويل) نظرة ذات تأثير درامي مفتعل، قبل أن يقول: آنستي.. يؤسفني أن أخبرك بما لدي، لكن الموقف لا يحتمل تأجيلاً..

و صحيح أن (ايمانويل) كانت من أنصار أن (هاري برايس) معتوه لا أكثر.. إلا أن كلماته شحذت اهتمامها، لتتساءل في قلق: - ماذا؟

- الفتاة (جيني).. إنها تحمل رسالة من ذلك الذي اسمه (بيتر بيشوب)... رسالة تخصك..

- تخصني أنا؟؟

فيمنحها (برايس) نظرة درامية مطوّلة قبل أن يجيب أخيرًا: نعم.. يقول أنه دورك...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(19)

أعتقد أن وصف (ايمانويل) التي لا تبالي بشيء لم يعد يليق بها بعد ما حدث..

بعد أن تلقت الخبر المشئوم تحولت إلى (ايمانويل) المفزوعة المعرضة للإصابة بإنهيار عصبي في أية لحظة، خاصة بعد أن حكت كل شيء لـ (فيسك) الذي أعلن: بالطبع لا يمكنني السماح لك بالمغادرة.. هذا غير قابل للنقاش أصلاً..

لكنه دوري.. سيقتلني (بيتر بيشوب) لو ظللت هنا أكثر من هذا..

فأجاب (فيسك) في عصبية:

اصغ لي جيدًا.. هناك قاتل في الملجأ لكنه بشري من لحم ودم.. لو ظننت أن كل ما حدث سيقنعني بالهراء المتعلق بشبح طفل مات منذ عامين فأنت مخطئة.. ثم أنك ستكونين هنا تحت حراستي شخصيًا، ولن أدع أحد يقترب منك..

لتصرخ (ايمانويل) في ثورة:

لماذا لم تمنع قتل (مارثا) و(مارك) مادمت قادرًا على هذا؟

ليصرخ (فيسك) هذه المرة:

قلت لك لا خروج.. والآن عودي إلى غرفتك ولا تغادريها أبدًا..

السجن أفضل من البقاء هنا.. سأعترف بكل شيء.. أنا من قتلت (بارتريدج) و(مارثا) و(مارك).. نعم.. ها أنا أعترف بخطأي.. والآن خذني إلى السجن..

هكذا إذن..

نعم..

فأشار (فيسك) إلى (ايمانويل) صائحًا في رجاله: اقبضوا عليها واسجنوها في غرفتها، ولو حاولت الهرب أطلقوا النار عليها بلا تردد..

لكن..

الآن..

أنت مجنون!!

فأسرع رجال (فيسك) يكبلون حركة (ايمانويل) الغاضبة، ثم بدأوا يجرونها جرًا إلى غرفتها بينما وقف (فيسك) يتابع ما يحدث، حتى اختفت عن ناظريه، ليصيح: أريد (هاري برايس) أمامي حالاً..

فلم تمض دقيقة حتى كان يقف أمامه بهدوءه الدرامي، ليصرخ فيه (فيسك): لماذا لم تخبرني أن الفتاة استيقظت؟

لأنها عادت إلى غيبوبتها على الفور.. والآن.. هل ستبدأ في إخلاء الملجأ؟

لن يخرج أحد من هنا حتى ينتهي الأمر..

فهزّ (هاري) رأسه في أسف، وقال:

لم تعد لكم حاجة لي إذن؟

ليجيبه (فيسك) في لهجة لا تقبل الجدل: قلت لن يرحل أحد، وهذا ينطبق عليك أيضًا..

ثم تركه وابتعد، ليقف (هاري) في مكانه مصدومًا، وهو يبحث عن رد يلق بهذا الموقف، لولا أن ظهر (شميدت) فجأة، والتوتر واضح عليه ليقول: يجب أن أرى (جيني).. الآن..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ثم جاء الدور على الألماني (هانز) ليبدأ (فيسك) في استجوابه..

جلس أمام (فيسك) وقد ربط جرح يده بمنديله، وقد بدا عليه الشحوب الشديد، ليبادره (فيسك): و الآن لنبدأ بتلك الأشياء التي كتبتها على جدران غرفتك بدمك..

ألهذا علاقة باتهامي بالتجسس؟

لا.. لهذا علاقة برغبتي في قتلك الآن.. ستخبرني بكل شيء تعرفه أو سأقتلك الآن وأعلن أنك حاولت الفرار..

أهكذا تعالجون أموركم أيها البريطانيون؟

نعم.. لهذا لم نخسر الحرب ونكلل بالعار.. والآن.. هل ستبدأ أم؟

قالها لتتلاقى أعينهما في نظرة تحد طويلة، قبل أن يستسلم (هانز) أخيرًا: ما الذي تريد أن تعرفه بالضبط؟

كل شيء..

فشردت عينا الألماني مستعيدًا ذكرياتًا بعيدة، وبدأ: لا بأس.. سأخبرك بكل شيء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

" أين كنت يا (جيني)؟.. "

يسأل (شميدت) ويصغي (هاري برايس)، وتجيب (جيني): كنت هنا.. في الملجأ..

أين بالضبط؟

لتهز رأسها نفيًا في فزع، ولتجيب:

لا يمكنني أن أخبرك.. سيقتلني لو فعلت..

إنه هنا إذن.. توقعت هذا.. لا يهم أين هو الآن.. المهم ما فعلتيه طيلة فترة غيابك.. ما الذي فعلتيه يا جيني..

يسأل (شميدت) ويجلس (هاري) وتبكي (جيني).. تبكي بحرقة لتقول من وسط دموعها: لقد حطمت أنف (لوريل) أمامي.. حطمته تلك القاسية (بارتريدج).. لم أعد أحتمل أكثر.. كان يجب أن أفعل شيئًا..

لهذا طلبت منه أن يقتلها؟

طلبت منه التدخل.. أن يمنعها.. لم أعرف أنه سيقتلها..

و طلب منك هو المقابل.. لابد أنه فعل.. أليس كذلك؟.. أنت من ساعدتيه على العودة..

فتنهمر المزيد من الدموع من عيني (جيني) وتتلوى في فراشها ألمًا: هو من اختارني حين كان حيًا.. هو الذي شرح لي كيف أساعده على العودة، لكني رفضت.. لم أكن لأفعلها لولا.. لولا..

لولا أنك احتجت له.. مفهوم.. كيف فعلتيها إذن؟

تجيبه (جيني) بالدموع والخوف المطل من عينيها، ليكرر (شميدت) بصرامة غاضبة: ما الذي طلبه منك يا (جيني)؟

و حاول (هاري) التدخل، قائلاً:

- رفقًا بها.. إنها فتاة صغيرة و..

ليشير له (شميدت) ليخرسه، قبل أن تلتقي عيناه الغاضبتان بعيني (جيني) الباكيتين، وليقول ببطء مخيف: أخبريني وإلا..

تنتزع (جيني) الإجابة من أسوأ كوابيسها وتقول: كل ما كان عليّ هو أن آتي له بطفل.. أي طفل ضال من المدينة.. كان عليّ أن أستدرجه إلى مقبرة المدينة..

لكن جثمانه لم يعد هناك.. عرفت أن أحدهم نبش قبره..

أحدهم أبدل مكانه فحسب، لكن ظل هناك.. ينتظر.. حتى أتيت أنا له بطفل صغير تبعني لأنني.. لأنني أخبرته أنني أمنحه الطعام..

ثم؟!

أرسلته إلى المقبرة ووقفت قربها أنتظر.. لم أكن أعرف ما الذي سيحدث بالضبط.. ثم.. ثم عاد الطفل.. لكنه لم يكن هو.. الطفل لم يعد كما كان.. لقد.. لقد أصبح (بيتر بيشوب)!!

تعنين أنه انتقل إليه؟

لا أعرف كيف لكن.. نعم.. من عاد معي من المقبرة هذه الليلة كان (بيتر بيشوب)..

ثم؟.. ما الذي حدث بعدها؟

طلب مني أن أحضرهم له.. أخبرني أنني سأجدهم في طرقات المدينة.. الكثير منهم.. أخبرني أن أحضرهم له..

من هم؟!

الأطفال.. أخبرني أنه في حاجة إلى الأطفال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و يقول الألماني:

- حدث هذا قبل الحرب بسنوات.. لا تهم التواريخ بدقة، بل إن الدقة ذاتها لا تعني شيئًا فيما سأقوله الآن.. كل ما عليك هو أن تصغي لي بعدها سأترك لك مهمة التصديق.. كانت الرحلة إلى أفريقيا لدراسة حياة بعض القبائل هناك.. رحلة شاقة مملة لا يمكنك تحملها إلا لو كان حياتك تعتمد على مثل هذه الدراسات، ولحسن الحظ الجامعات هنا تدفع جيدًا لمن يقومون بمثل هذه الأشياء..

فيقول (فيسك) ساخرًا:

- بينما في ألمانيا تفرغتم للحرب وحققتم فيها نجاحًا باهرًا..

ليتجاهله الألماني، وليواصل:

- بل كانت ألمانيا تعاني الأمرين بعد الحرب الأولى.. على أية حال كنا مجموعة مختلطة من العلماء من عدة دول، وكانت مهمتنا مراقبة طقوس بعض القبائل هناك والكتابة عنها، وهذا ما قمنا به بنشاط وأمانة.. وحين

أوشكت رحلتنا على الإنتهاء جمعنا أغراضنا واستعددنا للرحيل، لولا أن أصيب ذلك الطفل بمرض ما..

- أي طفل؟

- (بيتر).. (بيتر بيشوب) يا رجل.. أيوجد سواه؟.. لقد كان ابن (جيمس بيشوب) بالتبني، فهو لم لم يكن ينجب وكان في حاجة لمن يعينه ويعلمه ما يعرفه ليواصل من بعده.. وحين مرض أدركنا أنه أصيب بأحد أمراض الغابات التي لا علاج لها، وانتظرنا أن ينتهي أمره في هدوء، لولا أن قرر (جيمس) أن يجرّب ساحر القبيلة بعد أن يأس من كل أساليب العلاج التقليدية، علّه يملك حلاً.. بالطبع سخرنا منه وأخبرناه أن هؤلاء الجهلة لا يملكون سوى سحرهم الساذج وتقاليدهم التي لا تقترب من المنطق، لكنه كان مصرًا.. هكذا حمل ابنه وذهب إلى الساحر..

- ثم؟

- ثم اختفى الإثنان لأسبوع كامل.. انتظرناهما حتى مللنا الإنتظار، ويوم قررنا التخلي عنهما والعودة، عاد إلينا (جيمس) ومعه ابنه يسير على قدميه لندرك كم كنا حمقى..

- عالجه الساحر إذن..

فيبتسم الألماني في قسوة، ويجيب:

- لم يعالجه فحسب.. بل انتقل إليه..

-!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و تواصل (جيني):

- أخبرني أنني سأجد العديد منهم.. بعد الحرب امتلأت شوارع لندن بالأطفال الذين فقدوا ذويهم، والملاجيء لن تسعهم جميعًا.. أخبرني أنني لو قلت لهم أن هناك مكانًا دافئًا فيه طعام، سيتبعونني على الفور وهذا ما حدث.. هذا ما فعلته من قبل وهذا ما كررته كثيرًا بعدها..

فيقول (شميدت):

هذا هو المقابل إذن..

نعم.. لكنني كنت أقودهم له فحسب.. لا أعرف ما الذي كان يحدث لهم بعد ذلك..

حقًا؟.. لا تعرفين حقًا؟

فترتعش (جيني) في فراشها وقد بدا أنها على وشك الإصابة بصدمة عصبية: لقد أخبرني أنه في حاجة إليهم.. أنه سيمنحهم الخلود..

الخلود؟!

هذا ما قاله.. لهذا قررت أن أعرف.. أحضرت له طفلين عثرت عليهما قرب محطة القطار، وأخبرتهما بالمعتاد فتبعاني شاكرين.. وفي المكان المحدد تركتهما بعد أن دللتهما على الطريق، ثم انتظرت لفترة، قبل أن أتبعهما إلى الداخل.. صدقني لم أكن أعرف ما سيحدث لهما.. لم أكن أعرف أبدًا..

فيقول (شميدت) بهدوء:

و ما الذي حدث لهما يا (جيني)؟

لقد كان ينتظرهما في نهاية الممر.. كان يقف هنالك مبتسمًا وهو يلوّح لهما حتى اقتربا منه.. ثم.. ثم..

ثم ماذا؟؟

ثم انقض عليهما فجأة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صاح (فيسك) ذاهلاً:

انتقل إليه؟

نعم.. لم نعرف هذا إلا حين عدنا إلى السفينة.. لقد كان (بيتر) طفلاً عاديًا.. مملاً نوعًا ما لكنه طبيعي.. وحين عاد لاحظنا كم أنه صامت وغريب الأطوار.. كذلك كان (جيمس) لندرك أن هناك سرًا ما يخفيناه.. ثم حين عثرنا على جثث القطط أدركنا أن لحظة المواجهة قد حانت..

جثث القطط؟.. ما الذي تعنيه؟

لقد كان (بيتر) الطفل يتغذى عليهم.. ليس هذا فحسب.. لقد كان يتكلم بلغة غريبة وكان يردد أنه في حاجة إلى مزيد من الأطفال.. كان يقول أنهم سيساعدونه على تنفيذ مهمته..

فأشار له (فيسك) بالتوقف، وقال:

مهلاً.. أتتوقع مني أن أصدق هذا كله؟

أخبرتك أن التصديق مشكلتك لا مشكلتي.. على أية حال واجهنا (جيمس) بهذا كله، فأخبرنا أنه سيعود إلى لندن وأنه سيعيد الطفل إلى الملجأ.. أخبرنا أنه لن يشرح أكثر من هذا.. فقط طلب أن نراقبه جيدًا لو حدث له شيء ما..

لماذا؟

ما قاله بالتحديد كان.. لأنه سينفذ مهمته قريبًا وحين تحين اللحظة سنفهم كلنا كل شيء.. هذا ما قاله وهذا ما أعرفه.. لهذا قررت الإنتقال إلى هنا بعد موت (جيمس) الذي لم يكن طبيعيًا بالمرة.. لهذا استعنت بـ (ميراندا) لتكون عيني في المكان.. لهذا أؤكد لك أنه لا علاقة لنا بالتجسس من قريب أو بعيد..

و ماذا عن حوادث القتل؟ كل من ماتوا هنا.. لماذا؟

لا أعرف تحديدًا.. لكني أشعر.. بل إنني واثق أنها البداية.. البداية فحسب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمّا (جيني) فكانت تنتفض في فراشها فعليًا، وهي تحكي: رأيته ينقض عليهما لتتنثر الدماء.. دماء كثيرة.. صرخت.. رآني أصرخ والتفت إليّ.. هربت.. أخذت أعدو عائدة إلى هنا.. لكنه رآني.. يعرف أنني أعرف.. إنه لن يتركني..

فتدخل (هاري برايس) هذه المرة بصرامة لا تقبل الجدل: سيد (شميدت).. هذا يكفي.. الفتاة لن تحتمل أكثر من هذا..

ليهز (شميدت) رأسه متفهمًا، وليقول: لا بأس.. لا بأس..

و الآن.. هل ستخبرني بما تعرفه أنت؟

فمنحه (شميدت) نظرة صامتة طويلة، قبل أن يجلس على حافة الفراش، مجيبًا: - نعم.. أعتقد أن الوقت قد حان..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(20)

لكن (جوزيف) لم يكن ينوي البقاء..

حين يأتي من يتهمك بالقتل وأنت لم تفعلها.. حين تكون أصمًا أبكمًا عاجزًا عن الدفاع عن نفسك.. حين يتعلق هذا كله بشبح طفل كان اسمه (بيتر بيشوب) وكنت أنت تدرك جيدًا أنه ليس طبيعيًا، عندئذ تعرف أنها لحظة الهرب!

الحمقى أساءوا تقدير قوته حين تركوا ذراعه حرة ليكتب بها ما يعرفه، وهو لن يكتب لهم حرفًا فلا وقت ليضيعه.. حتى لو نجا من تهمة القتل، فالمبارزات الغير مشروعة التي يقضي فيها لياليه تكفي لنقله إلى أحد سجون لندن الرطبة، حيث سيقضي ما تبقى له من عمر، وهو لن يقبل بهذا..

دعك من أنه لو ربط أحدهم بينه وبين مصرع (جاك) ورفيقيه، سينتهي أمره هو والأنيق الذي ينظم له مبارايته متدليين من حبل المشنقة.. لهذا يجب أن يفعلها وأن يفعلها الآن..

يصف رجل (فيسك) الذي كان يحرس غرفته ما حدث بالتالي:

كنت أقف في الخارج أدخن وأنتظر.. سمعت صوت الجلبة قادمًا من الداخل، فاستللت مسدسي، واقتحمت الغرفة على الفور، لكني لم أر شيئًا.. لم أجد الوقت لأفعل.. فقط أظلمت الدنيا فجأة واستيقظت لأجد رأسي تنزف ولأجد أن (جوزيف) قد اختفى.. أين ذهب؟.. لا أعرف.. لا أحد يعرف..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكنهم عرفوا أنه مرّ على غرفة (ميراندا) قبل هربه..

باب غرفتها كان مهشمًا والحارس الذي كان يقف عند بابها كان مهشم الفك، وكان لا يذكر ما حدث له بالضبط ليتأكدوا أنه (جوزيف)..

حين سألها (فيسك) عمّا حدث بالضبط، أخرجت له رزمة النقود، وقالت وهي تبكي:

أعطاني هذا.. دائمًا ما كان يفعل..

و لماذا منحك هذه النقود؟

لأبتاع الحلوى للأطفال.. هذا ما طلبه مني وهذا ما كنت أفعله طيلة الوقت.. (جوزيف) هو من كان يعتني بالأطفال ويمنحني المال لأبتاع لهم ما يحتاجونه.. كان هذا سرنا.. لم يكن (بيتر بيشوب) هو الذي يحرس الأطفال.. بل كان (جوزيف)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ثم جاء العثور على جثة (ايمانويل) ليقضي على البقية الباقية من أعصاب (فيسك)..

لقد أخبرهم (بيتر بيشوب) أن دورها هو التالي وهو لم يعتد الكذب..

نعم.. يمكنك أن تقول أنه شبح.. أنه إعادة تجسيد ساحر القبيلة الإفريقي.. أنه مجرد أسطورة أو كابوس حي يسير في ملجأ القلب المقدس.. يمكنك أن تقول ما تريده، لكنك لا يمكنك أن تصفه بالكذب أبدًا..

لهذا حين شعر الحارس على غرفة (ايمانويل) بتلك اللزوجة أسفل قدميه، نظر وهو يعرف ما سيجده.. لا شيء يتسلل من أسفل الباب وبهذه اللزوجة إلا لو كان دمًا..

فتح باب الغرفة على الفور وهو ينادي على كل من تذكر اسمهم، لكنهم كلهم وقفوا جواره يرمقون جثة (ايمانويل) الممزقة ذاهلين..

الكل يعرف أنها كانت بمفردها في الغرفة.. يعرفون أنها لم تنتحر بأن تمزق جسدها بهذه الصورة البشعة.. يعرفون أن هذا كله غير طبيعي وأنه له علاقة باسم يتردد برهبة في المكان.. لكن..

السؤال الحقيقي الآن هو.. لماذا يفعلها؟

لماذا يقتل (بيتر بيشوب) من في الملجأ؟

لماذا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(21)

لأنه كان هنا منذ البداية.. قبل أن يبدأ كل شيء..

يقولها (شميدت) وهو يستعيد ذكريانًا لم ينسها قط، فيصغي (هاري برايس) دون أن يقاطعه:

(بيتر بيشوب) كان هنا قبل أن يتبناه (جيمس بيشوب).. قبل أن يسافر به وقبل أن يعيده ليخبرني أنه لم يعد طبيعيًا.. قبل أن يخبرني بما لم يخبر به أحدًا غيري..

كانت (جيني) تصغي وهي تبكي في صمت، وكان (هاري برايس) يكتب من وراءه مصغيًا في انتباه.. وكنت أنا معهما أصغي، فلم تكن هناك طريقة لأعثر بها على (جوزيف) الآن..

نعم.. ربما يكون في منزل الأنيق يختبيء، لكنني لن أترك هذا السيل من المعلومات الآن، وقد بت واثقًا من أنه سيؤدي إلى ما أعرفه منذ البداية..

يقول (شميدت):

لم يكن (جيمس بيشوب) ينجب ولم تكن هذه مشكلة له أو لزوجته.. كان متفرغًا لدراساته وكان يعتبرها ابنه الذي ينمو كل يوم، حتى أدرك متأخرًا أنه سيموت ذات يوم وأنه لن يأتي من يكمل دراساته من بعده، لذا قرر التبني.. جاء إلى هنا طالبًا من يخلفه فكان (بيتر) من نصيبه..

و كان (بيتر) طبيعيًا وقتها؟

كان طفلٌ هادئًا من الذين رأوا في سنوات عمرهم القليلة أكثر مما ينبغي لهم.. وحين رحل مع (جيمس) أدركت أنه قد يحظى بحياة أفضل بعيدًا عن جحيم مسز (بارتريدج) التي كانت تبقيه موقدًا بنشاط.. نسيت كل شيء عنه وعن (جيمس) حتى عاد به إلى لندن، ليزورني وليخبرني ما حدث بالضبط في تلك الرحلة المشئومة إلى أفريقيا..

و ما الذي حدث بالضبط؟

ما يعرفه الكل أن (بيتر) أصيب بمرض ما هناك وهذا متوقع.. لا أحد يزور أفريقيا ولا يصاب بمرض ما إلا لو كان محظوظًا.. وبالطبع لم يكن لهذا المرض علاج معروف، لذا جرّب معه (جيمس) كل علاج اكتشفه الطب، قبل أن يقرر أن ساحر القرية لن يضره أكثر مما هو عليه، فحمل (بيتر) وذهب إليه ليجد مفاجأة تنتظره.. ليجد أن ساحر القرية يخبره أنه كان في انتظاره منذ زمن طويل..

صاح (هاري) مدهوشًا:

في انتظاره؟

نعم.. أخبره أنه كان يجب أن يأتي وأن كل شيء معد منذ البداية.. ثم طلب منه الإنتظار بعيدًا والعودة حين يكتمل القمر ليستلم الطفل وقد استرد صحته.. وقوته..

لا أفهم شيئًا..

و لم يفهم (جيمس) أيضًا في ذلك الوقت.. لكنه نفذ ما طلبه الساحر وعاد حين اكتمل القمر ليجد (بيتر) وقد استرد صحته فعلاً.. استردها أكثر من اللازم..

ما الذي تعنيه؟

أعني أنه كان هناك في الساحة أمام منزل الساحر.. تحت ضوء القمر.. يأكل جثته.. (بيتر بيشوب) كان يلتهم جثة الساحر..

!!

و يواصل (شميدت) وقد بدأ صوته يرتجف:

- هكذا وقف (جيمس) مصدومًا يحدق في الهول الذي يحدث أمامه، ليلتفت له (بيتر) الطفل الذي لم يعد كذلك.. حدّثه فأدرك (جيمس) أن الساحر هو من يحدثه.. أخبره أن الجسد الجديد يروق له كثيرًا وأنه دوره الآن ليعيده إلى الملجأ، فهناك سينفذ باقي مهمته.. أخبره أنه هنا في ملجأ القلب المقدس سيعود الكاهن الأسود..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن أتى دوري لأفقد عقلي!

الكاهن الأسود؟.. لكن.. كيف؟!

ما الذي يحدث بالضبط؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لكن (فيسك) اتخذ أخيرًا القرار الذي كان يتوقعه البعض ويخشاه البعض ويتمناه الأغلبية..

لقد حان الوقت لإخلاء ملجأ القلب المقدس!

الواقع أن الوقت قد حان منذ البداية، لكن (فيسك) لم يدرك عبث محاولاته إلا الآن، لذا أرسل إلى إداراته ليرسلوا له عربات الجيش اللازمة لنقل الأطفال..

سينقلوهم إلى أين؟.. لا يهم.. لو ألقوا بهم إلى شوارع لندن فسينتظرهم مصير أفضل بكثير من هنا..

ثم إن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد.. فحين استطاع (فيسك) أن يقنع (كونتز) بأن يتغلب على فزعه بمشقة، ليساعده في جمع الأطفال، اكتشفوا اختفاء البعض..

(ميري).. (سوير).. (جونسون) الصغير.. (بيث).. والسجلات تقول أن هناك ثلاثة آخرين لكن لا وقت لنعرف من بالتحديد..

هؤلاء اختفوا ومن اليسير التنبؤ بما حدث لهم، وهذا لن يغير من قرار (فيسك).. حتى حين حاول (بيرك) المقاومة معلنًا أنه لن يترك قاتل أخيه، أخبره (فيسك) أنه سيرسله له لو لم يطعه بدون مناقشة، فلم يملك (بيرك) سوى دموعه ليودّع بها توأمه إلى الأبد..

و بعد ثلاث ساعات وصلت العربات محملة بالجنود الذين عاونوا الأطفال على الركوب دون أن يسألوا عن شيء.. مهمتهم إبعاد الأطفال عن المكان دون أن يعرفوا السبب وهم لا يحتاجون لسبب لينفذوا الأوامر..

و بينما كان (هاري برايس) يجمع أوراقه التي سينشرها في كتاب سيضيف لشهرته الكثير، كان (شميدت) يقود (جيني) عبر الممرات إلى حيث سيأخذونها بعيدًا عن هنا.. وعند بوابة الملجأ توقف، ومال عليها ليقول:

- والآن.. يجب أن تخبريني أين (بيتر بيشوب).. يجب قبل فوات الأوان..

فتتسع عينا (جيني) في فزع، لكن (شميدت) يقول:

أين هو يا (جيني)؟.. أين؟؟

لتجيبه (جيني) في النهاية:

إنه هنا.. أسفل الأرض!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(22)

لكن جسدًا ما ينتصب واقفًا فجأة وسط اللهيب، لتتجمد أفكاري كلها هلعًا..

و لسبب ما شعرت بصقيع!

أمام هذا الأتون الملتهب أشعر وكأنني مدفون في الثلوج!

أمّا هذا الذي وقف وسط النيران فمد يده تجاهي، وخرج صوته عميقًا مهيبًا يقول: - نهايتك اقتربت..

يستوعب عقلي المعلومة ببطء.. إنه.. إنه..

إنه الكاهن الأسود..

نهايتك باتت أقرب مما تتصور..

يقولها ثم يبتلعه اللهيب فجأة كأنه لم يكن.. وبذات البساطة يتلاشى الصقيع من حولي..

إنه الكاهن الأسود..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إذن فالكاهن الأسود وراء هذا كله..

كل ما حدث حتى الآن كان من تدبيره.. كل ما حدث وسيحدث..

هو من قتل (بارترديدج) و(مارثا) و(ايمانويل) و(مارك) والأطفال.. هو الذي كان ينتظر في أفريقيا وهو الذي سيتجسد هنا..

هو الذي أخبرني أن نهايتي قد اقتربت والذي أيقنت أنني سألاقيه ثانية ليحقق لي هذه الأمنية!

هو الذي يعرفه الكل هنا باسم (بيتر بيشوب)..

الآن يبدو كل شيء منطقيًا بصورة ما، والآن أعرف لماذا قتل كل من قتلهم.. لقد كان يريد إخلاء الملجأ.. كان يريد العودة..

و الليلة سيعود الكاهن الأسود الذي لا أعرف من هو لكني أعرف أنني سأواجهه..

الليلة سأواجهه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يرحل (شميدت) مع من رحلوا..

لسبب ما فضل البقاء وخوض المواجهة معي..

ربما لأنه يريد أن يفهم.. لأنه يعرف أنه لو رحل الليلة، لقضى ما تبقى له من عمر يتساءل ويتذكر..

ربما لأنه أيقن أنه لا فائدة من الهرب!

هكذا ظل في غرفته حتى رحلت العربات محملة بمن كانوا هنا، قبل أن يرتدي معطفه ليبدأ في التجول في ممرات الملجأ.. إنه يعرف من أين سيبدأ وكذلك أعرف أنا..

هكذا رددت جدران الملجأ صدى خطواته حتى بلغ المكان الذي وقفت فيه (مارثا) ليلة أمس تنادي على (بيتر بيشوب).. وأمام تلك الفجوة المظلمة في الجدار وقف أخيرًا، ليهمس إلى نفسه قائلاً: ها نحن سنلتقي يا عزيزي (بيتر)..

فلم يجبه الظلام، ليحني هو رأسه بتؤدة و.. و..

و ليعبر الفجوة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قادته الفجوة إلى ممر آخر مظلم.. ولسبب ما أدرك أنه لم يكن هناك حين عثروا على جثة (مارثا)، لكنه (بيتر) وقد سمح له بالدخول..

كانت البرودة غير طبيعية.. برودة أجبرت عظامه على الإرتجاف.. برودة لا تنتمي إلى هذا العالم وشعرت أنا بها من قبل، وها أنا أشعر بها ثانيةً حتى وأنا في حالتي الشبحية، إذ أتبع (شميدت) إلى حيث يقودنا الممر المظلم..

انتهى الممر بدرجات صخرية تقود إلى الأسفل، فأخرج (شميدت) قداحته ليضيء الطريق أمامه، وبدأ في هبوط الدرج وقد سرت في جسده رجفة لم تكن البرودة سببها هذه المرة..

و حين بلغ نهاية الدرج بعد فترة ليست بالقصيرة، وقف يتشمم الهواء الرطب في هدوء، قبل أن يمضي متقدمًا في الممر الجديد الذي وجده.. الممر الذي سيقوده إلى الحقيقة..

أطفأت نسمة من الهواء البارد قداحته، لتظلم الدنيا من حوله، فوقف في مكانه وأخذ يحاول إشعالها مرة أخرى، حتى تحولت الشرارات إلى شعلة خافتة أعادت له الضوء والأمان..

في تلك اللحظة شعر بمن يتحرك خلفه، فانتفض جسده وهو يلتفت بسرعة، ليجد تلك اليد القاسية تقبض على معصمه فجأة.. وقبل أن ينفجر صارخًا ميّز

وجه (جوزيف) على ضوء الشعلة وقد اتسعت عيناه في انفعال، ليصيح: (جوزيف)؟.. لقد كدت تقتلني..

لكن ذهوله تضاعف آلاف المرات، حين أجابه (جوزيف) قائلاً: سيد (شميدت).. إننا في الجحيم..

!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و لم يكن ذهولي أقل من ذهول (شميدت) ولو بذرة..

فأمامنا وقف (جوزيف) وقد استرد سمعه ونطقه، ليواصل بصوت مبحوح لفرط الإنفعال: هذا المكان.. إنه غير طبيعي..

ليقول (شميدت) منتزعًا نفسه من ذهوله: إنك تتحدث!

يجب أن نخرج من هنا..

ما الذي تفعله هنا؟

لا وقت للشرح.. يجب أن نهرب.. هيا بنا..

و دون أن يمنح (شميدت) فرصة للرد، جذبه من معصمه وانطلق يعدو في الإتجاه المضاد، فتبعه (شميدت) مرغمًا، وهو يردد: - ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

لكن سؤاله بدا سخيفًا حين انتهى الممر فجأة أمامهما دون أن يظهر الدرج الذي يقود إلى الأعلى، ليتجمد (شميدت) ذاهلاً، ولينهار (جوزيف) على ركبتيه مصدومًا، وهو يقول: إنها نهايتنا إذن..

و بينما أخذت أنا أستوعب حقيقة أننا أصبحنا سجناء هذا المكان، كان (شميدت) يردد بلا توقف: - ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و هكذا لم يعد أمامهما سوى العودة فتبعتهما وأنا أقاوم رغبتي في التجسد.. لو ظهرت لهما الآن سأخاطر بإصابة (شميدت) بنوبة قلبية، وربما أصيب (جوزيف) بالجنون ليدقّ عنقي دون مناقشة..

يكفيهما ما هما فيه الآن ويكفيني أن أتبعهما وأصغي لهما، و(جوزيف) يقول: كنت أعرف أن هناك طابق أسفل الأرض.. كنت أعرف أنه موجود وأنه له مدخلاً في الفناء الخلفي لا يعرفه أحد، فقررت الإختباء هنا حتى ينتهي الأمر.. أنا لم أقتل أحدًا يا سيد (شميدت)..

أعرف.. كلنا يعرف هذا، لكنهم كانوا في حاجة لمشتبه به يصلح ككبش فداء..

وصلت إلى هنا لتظلم الدنيا من حولي فجأة ولأفقد الوعي.. وحين استيقظت وجدت أنني استعدت قدرتي على السمع والتحدث.. لا أعرف كيف.. لكني أقسم أنني لم أكن أتمناهما الآن.. صدقني.. هنا لا أحب أن أسمع أو أنطق بحرف..

إنها هدية (بيتر بيشوب) لك يا رجل..

هدية؟.. لكن لماذا؟.. أتظن أنه؟؟

يعرف.. بالتأكيد.. لهذا نحن بالذات هنا..

و ما الذي سيحدث لنا إذن؟

سنعرف حالاً يا عزيزي.. سنعرف حالاً..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(23)

و في نهاية الممر انتظرتنا تلك القاعة..

الجدران الصخرية التي علقت فيها المشاعل التي لم تنجح نيرانها في التخفيف من برودة المكان المخيفة.. في منتصف القاعة تمامًا كانت الرموز العجيبة التي رسمت على الأرض على شكل دائرة بدت مألوفة لي لأتذكر أنها تشبه تلك الرموز التي رسمتها أسفل مقعد الإنتقال في منزلي.. ووسط الدائرة كانت المرآة.. وأمام المرآة جلس هو..

(بيتر بيشوب)..

رأيته لأول مرة لأشعر بالحيرة.. هذه الملامح الطفولية الهادئة.. هذا الشعر الناعم والعينان الواسعتان الجميلتان.. هذا الجسد الضئيل النحيف بصورة غير طبيعية..

هذا هو مصدر كل ما حدث في ملجأ القلب المقدس..

و توقف (شميدت) و(جوزيف) عند مدخل القاعة يرمقونها في ذهول، ثم تلاقت أعينهما على عيني (بيتر) الذي ابتسم ليقول بصوت لا يمت لعالم الأطفال بصلة: - مرحبًا بكما.. أو لأكون أكثر وضوحًا.. مرحبًا بكم..

ثم إنه التفت لينظر لي مباشرة!..

إنه يراني!!

و ببساطة أردف (بيتر):

- يمكنك أن تظهر نفسك فلا داع لإضاعة الوقت..

ليقول (شميدت) في حيرة:

ما الذي تقصده؟

لكني أجبته بأن أخذت أتجسد في بطء أمامهما، ليتراجع هو و(جوزيف) ذاهلين، حتى أتممت تجسدي، لأقول: من الصعب أن أشرح لكما من أنا، لكني هنا لأنقذكما..

قلتها فتعالت ضحكة (بيتر) المخيفة في المكان ورددتها جدران القاعة، حتى توقف ليقول أخيرًا بسخرية: تنقذهما.. يا لك من ساذج.. إنهما هنا ليدفعا الثمن..

و أشار بيده إلى (شميدت) ليقول:

- أنت من فعلها.. أنت من أشعل فيّ النار في تلك الليلة.. أنت من حاول التخلص مني..

فارتجف (شميدت) رغمًا عنه، وقال:

- كان يجب أن أحاول.. أن أحاول إيقافك..

لكن (بيتر) تجاهله وأشار إلى (جوزيف) مردفًا: - وأنت عرفت.. أنت الوحيد الذي شاركه سره، لكنك صمت.. نصبت نفسك حاميًا لهذا الملجأ وصمت.. والآن يأتي وقت حسابكما..

و قبل أن أتحرك من مكاني تحرك هو..

لحظة واحدة.. استغرق الأمر منه لحظة واحدة، قبل أن يسقط (شميدت) و(جوزيف) أرضًا يمسكان بعنقيهما، محاولين إيقاف النزيف وهما ينتفضان انتفاضتهما الأخيرة..

لحظة واحدة عاد بعدها (بيتر) مكانه بينما قال (جوزيف) بصوت متحشرح: لكن.. لكن..

لكنه لم يكمل جملته هذه أبدًا.. انتفض مرة أخيرة ثم سكن جسده تمامًا لتتسع بركة دماءه من أسفله ولتمتزج بدماء (شميدت) الذي لم يجد الوقت لينطق بحرف..

لا تشغل بالك الآن بإنقاذهما، فهو يريدك أنت..

قالها (بيتر) بينما وقفت في مكاني مصدومًا عاجزًا عن استيعاب ما حدث، ليبدأ هو في تلاوة تعاويذ ما بلغة لا أعرفها ولم أسمعها من قبل..

هكذا مات (جوزيف) أمامي دون أن أجد حتى الفرصة لمنع هذا..

صحيح أنني لست هنا لأغير الماضي، لكني لم أتوقع أن يتم الأمر بهذه السرعة.. بهذه القسوة..

ثم إنه يريدني أنا!.. من هو؟.. الكاهن الأسود طبعًا!

يعلو صوت (بيتر بيشوب) بالتعاويذ لتزداد برودة المكان بصورة أجبرت جسدي على الإرتجاف، فصحت بأعلى صوتي: توقف..

لكنه لم يتوقف.. علا صوته أكثر وازدادت البرودة أكثر وأكثر..

و أشار بيده فجأة لتطير جثتي (شميدت) و(جوزيف) إلى المرآة ليعبراها إلى حيث سطع ضوء عجيب وكأنما تعلن المرآة عن رضاها، قبل أن يخبو الضوء مرة أخرى، ليظهر الإثنان في المرآة لكنهما لم يكونا بمفردهما..

في المرآة رأيتهما يقفان إلى جوار الأطفال إلى جوار (مارثا) ومسز (بارترديج) و(مارك) و(ايمانويل) و(جيمس بيشوب)، وقد سددوا كلهم أعينهم تجاهي في نظرة اتهام صامتة..

كلهم أدركوا ما أدركته الآن متأخرًا جدًا.. كلهم هنا لأنهم كانوا مجرد وسيلة لأكون أن هنا لحظة عودته..

لحظة عودة الكاهن الأسود..

يرتفع صوت (بيتر) بالتعاويذ وتتحول البرودة في المكان إلى صقيع بدأ يجمدني مكاني، فصحت وأن أنقض عليه: توقاااااااااااااااااااااف..

لكن دائرة من النيران ظهرت فجأة حول (بيتر) لتجبرني على التوقف، وعلى شفتيه رأيت تلك الإبتسامة، وهو يردد آخر كلمات تعويذته العجيبة، قبل أن يتوقف أخيرًا..

سقطت على ركبتي وأنا أرتجف من الصقيع المتزايد حولي، فوقف هو ببطء، ثم نظر لي مباشرة ليقول: جدك هو من بدأ هذا كله.. والآن ستدفع الثمن..

قالها فلم أقوى على الإجابة.. امتزج ألمي بحيرتي ليشلا لساني وقدرتي على التفكير..

أمّا هو فاستدار ببطء شديد، ثم اتجه إلى المرآة ليعبرها لتومض مرة أخرى بذات الضوء العجيب، الذي لم يخبو هذه المرة..

جدي هو من بدأ هذ كله!.. ما الذي يقصده؟

ما الذي فعله جدي بالضبط؟!

من حولي تضاعفت البرودة حتى ازرقت أناملي، وتوقف جسدي على الإرتجاف، وقد أدركت عضلاتي عبث محاولات بث الدفئ في جسدي، وشعرت بوعيي وقد بدأ يغيب عني، بينما تضاعف الوميض الخارج من المرآة ألف مرة على الأقل ليضيء المكان كله، ومن وسط الوميض رأيت ذلك الجسد القادم من بعيد..

من بعيييييييييد!

ذات الجسد الذي رأيته وسط النيران في عصر الملك (تشارلز).. ذات الجسد الذي وقف ليعلن لي ذات يوم أن نهايتي قد اقتربت..

حاولت النطق بشيء ما، لكني عجزت عن تحريك لساني.. فقط أخذت أرمق الجسد الذي أخذ يقترب ببطء واثق تجاهي، وفي عقلي تردد ذات الصوت الرهيب قائلاً: ها نحن نلتقي مرة أخرى..

يجب أن أفعل شيئًا ما.. يجب.. يجب أن أتحرك..

لا تحاول.. لقد حانت نهايتك..

يقترب أكثر وأكثر ويتحول الصقيع إلى كيان مادي يجثم على جسدي من كل اتجاه ليجبرني على السقوط أرضًا عاجزًا عن الحركة..

سينتهي كل شيء الآن.. لا تقاوم..

لهذا حدث كل شيء.. لهذا زارني شبح (جوزيف).. ليأتي بي إلى هذا الزمن.. لأشهد لحظة عودته..

لتكون نهايتي!

كل هذا لأن جدي - الذي منحني لعنته قبل أن يموت - فعل شيئًا ما لا أعرفه..

كل هذا سينتهي الآن دون أن أفهم..

كل هذا يجب أن يتوقف الآن!

هكذا صحت وقد منحني غضبي بعض الطاقة، لأتحرك أخيرًا معتدلاً وليقترب الجسد في المرآة بسرعة أكبر، حتى بات على قيد لحظات من العبور، لكني التقطت حجرًا من على الأرض، وبكل قوتي قذفته في اتجاه المرآة في اللحظة التي قفز فيها الجسد تجاهي و.. و..

سمعت صوت التهشم.. انفجر الضوء من حولي وانفجر الصراخ في عقلي.. شعرت بالشظايا الزجاجية تطير في وجهي، ثم.. ثم..

ثم أظلمت الدنيا فجأة..

و انتهى كل شيء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(24)

و حين استيقظت كنت لا أزال هناك..

كنت في القاعة لكنه لم يكن معي.. فقط كنت أنا وشظايا الزجاج والبرودة التي أخذت تقل تدريجيًا.. و.. و..

و الجثث.. الكثير من الجثث تناثرت في كل مكان ولا داع لأذكرك بأصحابها.. لا تنس أن بينهم أطفالاً!

من إطار المرآة التي لم تعد كذلك، تصاعدت الأدخنة لترقص رقصتها الأخيرة في الهواء قبل أن تتلاشى معلنة أنني نجحت في إيقافه..

الكاهن الأسود لم يعبر!

فقط تحركت تلك القطة السوداء بين الشظايا الزجاجية، ثم أسرعت مبتعدة ليبتلعها الظلام.. أمّا أنا فلم أتمكن من الحركة إلا بعدها بفترة..

إذن نهايتي لم تحن بعد.. لكنها نهاية هذا الملجأ..

النهاية التي سأضعها بيدي لأنهي هذه القصة إلى الأبد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حين عرف (فيسك) لاحقًا بالحريق الذي التهم الملجأ في تلك الليلة، لم يشعر سوى بالخلاص..

لم يرهق نفسه في محاولة البحث عن فاعل، فما حدث كان أشبه بهدية من السماء له عليه أن يكون ممتنًا لها فحسب..

هكذا ينتهي التحقيق.. هكذا سيبحثون عن مكان آخر يصلح كملجأ للأطفال.. هكذا يمكنه أن ينسى ذلك الاسم الذي أرقّه طويلاً..

اسم (بيتر بيشوب)..

فقط عثروا على تلك القاعة أسفل الأرض وعلى الجثث المتفحمة فيها، فدفنوها هناك دون أن يجرؤ أحد على الإعتراض أو التساؤل.. ربما يكونوا قد عثروا أيضًا على ما تبقى من المرآة لكنهم لن يفهموا سرها أبدًا..

كل ما يتعلق بالكاهن الأسود لا يخصهما في شيء، لكنه سيطاردني أنا طويلاً وهذا ما عرفته لاحقًا.. نعم أنا منعته من العبور، لكنني لم أقض عليه..

فيما بعد سأعرف أكثر عنه.. عن مفاتيح الزمن.. عن الزمن الذي أتى منه وعن أزمنة لم يذكرها التاريخ، لكن جدي عاشها وتركها لي مع لعنته التي لن

أفهم سرها الآن..

فيما بعد سأعرف أكثر، أمّا الآن..

فحان وقت العودة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خاتمة

حين عدت كانت وحدتي في انتظاري كما هي لم يمسسها سوء..

غرفتي والمرآة أمامي والمقعد أسفلي أسفله النقوش، وحوله زمننا الحالي الذي أحيا فيه في ظلام لا ينتهي..

فقط كان رنين جرس هاتف منزلي يدوي بلا انقطاع، لذا تحاملت على نفسي وخرجت من غرفة الإنتقال إلى الردهة لأتحسس طريقي إلى حيث واصل الهاتف رنينه لأريحه من عذابه، ولأضع السماعة الباردة على أذني، فيأتيني صوت مألوف يقول بانفعال لم أعتده منه: (نادر).. أنا (داليا)..

قالتها فشعرت بتلك الغصة التي يشعر بها أي رجل يسمع صوت طليقته، وقلت: أهلاً يا (داليا).. هل كل..

فتقاطعني هي على الفور: (أسامة) يا (نادر).. ابننا (أسامة).. لقد بدأ يراهم..

هنا انتفضت في مكاني وقد أدركت ما تعنيه على الفور، لكنني قلت: ما الذي تعنيه؟!

الموتى.. ابنك بدأ يرى الموتى!

!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه) ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات..

عن الرواية..

مقدمة..
دماء الأميرة
1- تلك الأشياء..
2- أن تفهم وأن تصدق!
3- في حضرة الملك..
4- الساحر..
5- الأميرة السرية..
6- ليديا
7- يجب أن أراه!..
8- ليلة الدم..
9- سأنتقم..
10 – النهاية..

حكايات بيتر بيشوب
(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)
(7)
(8)
(9)
(10)
(11)
(12)
(13)
(14)
(15)

(16)
(17)
(18)
(19)
(20)
(21)
(22)
(23)
(24)
خاتمة